الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور الطاهر مولاي . سعيدة .

كلية الآداب و اللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي موسومة بـ:

أثر السياق في تحديد الدلالة الوظيفية

(سورة مريم) أنموذجا

إعداد الطالبة:

عرباوي فاطيمة الزهراء

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

بهلول شعبان

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة

السنة الجامعية: 1439هـ 1440هـ/2018م 2019م

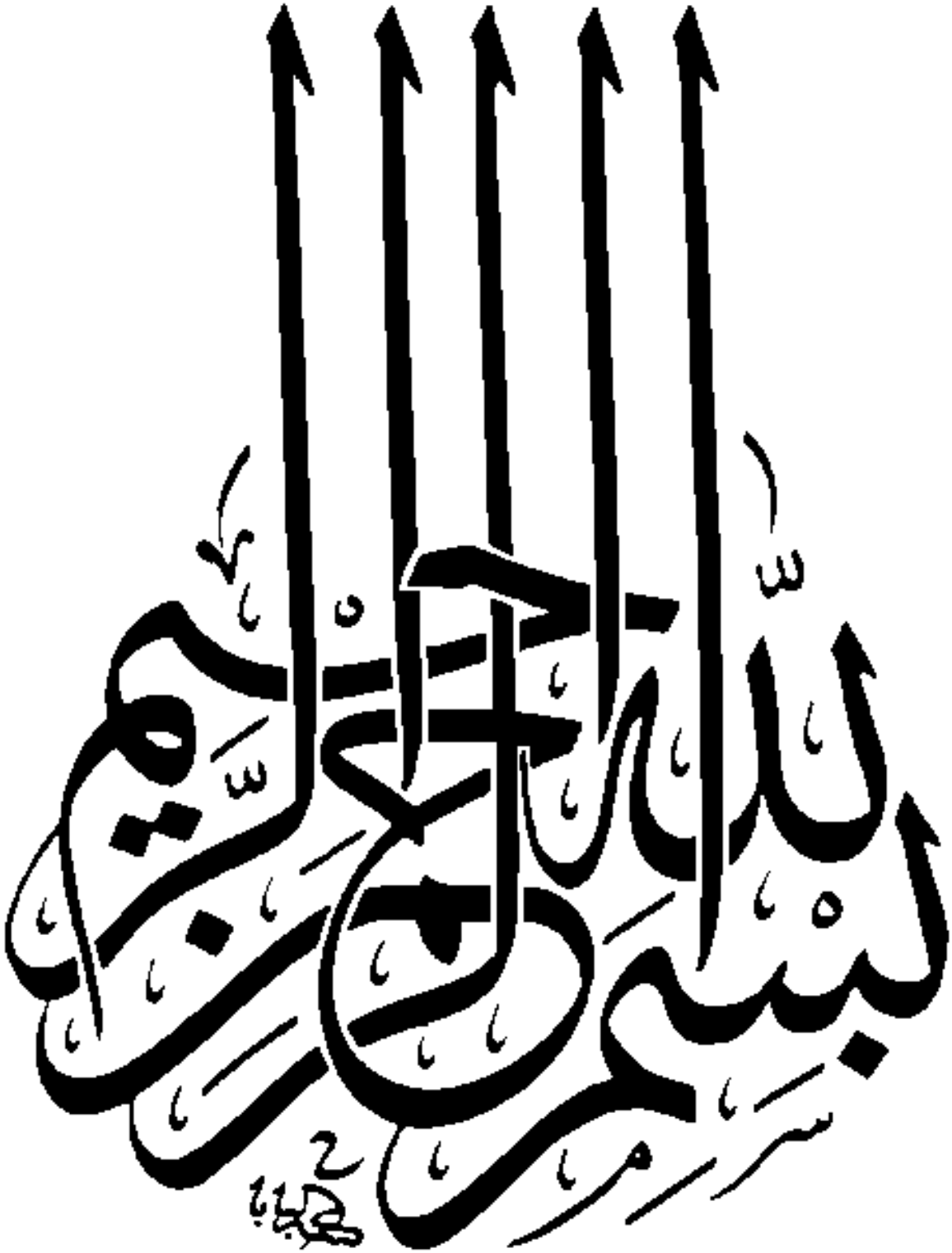
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد أولا وأخيرا إلى صاحب الحمد كله الذي تذكره البصائر ولا تدركه الأبصار إلى الذي أنار دربنا وسددّ خطانا وأمدّنا بالصحة والعزيمة وساقنا إلى طريق النجاح.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من لم يشكر الناس لا يشكر الله" فشكر كل الشكر إلى الدكتور بهلول شعبان الذي دعمني بنصائحه وإرشاداته والذي أكن له أسمى مشاعر الاحترام والتقدير.

كما أتوجه بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى كل أساتذة جامعة الدكتور مولاي الطاهر قسم اللغة العربية،الذين سهروا على تدريسنا طوال خمس سنوات ودون أن ننسى كل من أمدنا بالعون سواء من قريب أو بعيد ولو بالكلمة الطيبة.

الإهداء

بسم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم نحمد حمدا كثيرا مباركا ونشكره شكرا يليق بعظمته ويناسب جلاله أن وفقنا لإتمام هذا العمل وأفاض علينا بنعمتي الصحة والعقل،نسأله أن يبارك لنا فيه وينتفع به كل من اطلع عليه.

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار،إلى من تشققت يده في سبيل رعايتي، أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى:ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد"أبي الصبور"

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان إلى بسمة الحياة وسر الوجود،إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة.

إلى الورود البهية الذين قاسموني حنان الوالدين إخوتي
وأخواتي:وفاء،مروة،السايح، أحلام،محمد يوسف.

وإلى نور عيني الكتكوتان:إلياس،سجود.

إلى زوج أختي خروجي بن عامر.

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي إلى من معهم سعدت برفقته ن في دروب الحياة الحلوة والحزينة وسرت،إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي:حمادي
مباركة،ربيحة،حورية،هوارية،فاطيمة،رشيدة،نوال،صفية.

إلى كل عائلة عرباوي وسماحي.

إلى من علمني معنى الصبر والنضال للوصول إلى المبتغى الدكتور بهلول شعبان وكل أساتذتي الكرام كل باسمه.

بقلم فاطيمة الزهراء

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي شرفنا بالعربية بأن جعلها لسانا لنا، ولغة لكتبنا ونشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأصلي وأسلم على خاتم النبيين محمد بن عبد الله أبلغ العرب بيانا وأفصحهم لسانا.

أما بعد:

إن حاجة الإنسان للتواصل جعلته يتبع أكثر من وسيلة محاولا بذلك إضفاء نوع من التفاهم والتفاعل بين الناس، ومن بين هذه الوسائل التعبير اللغوي الذي يتخذه كوسيلة للدلالة على المعاني الفكرية والنفسية لكن هذه الأخيرة قد تعجز عن إيصال المعاني المقصودة بدقة وذلك لأن اللفظ الواحد يمكن أن يعبر عن دلالات، وهذا ما يؤدي غالبا للبس وتنوع أوجه التأويل بسبب تعدد الدلالات.

من هنا ظهرت الحاجة إلى السياق الذي يعتبر أحد أهم العناصر الضرورية والمهمة في تحديد الدلالات المقصودة.

وفي الحقيقة هناك دراسات سابقة تناولت موضوع السياق بوجه عام، حاولت أن تشرحه وتبين علاقته بالكلام، مثل صنيع عبد النعيم خليل الذي وسمه بـ: "نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية"، حيث عمد إلى تبيين أصل السياق ومفهومه وكذا عناصره، ورسالة دكتوراه للباحث عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، وعنونها بـ:"دلالة لسياق بين التراث وعلم اللغة الحديث" تعرض فيها للبداية الحقيقية للسياق عند مالينوفسكي، ثم قدم أهم الأسس السياقية في التراث العربي، ثم رسالة الباحث عبد القادر بوزبوجة الموسومة بـ:"نظرية السياق عند اللغويين والبلاغيين العرب"، والتي قدم فيها جهود اللغويين والنحويين والبلاغيين في السياق.ويأخذ السياق مسار أكثر بعدا مع الدراسات التداولية والتي عمق أصحابها مسألة السياق اعتمادا على تجاوز

إطار اللغوي المحض إلى السياق الاجتماعي والنفسي والثقافي لأن التداولية تسعى إلى دراسة اللغة وعلاقتها بالعالم الخارجي .

وبما أن القرآن الكريم ما زال ولا يزال مدار اهتمام العلماء اللغويين والبلاغيين لأنه الآية التي لم ينقص إعجازها والحجة التي لم يختلف يقينها، فكان للسياق القول الفصل في تفسيره وقد شّدنا منه "سورة مريم" ووقع اختيارنا لها لأن لها وضع خاص في نسق حروفها وألفاظها وفي تركيب جملها وأسلوبها، كما لها وضعها الأسلوبي في المعنى والدلالة وتنظيم الكلمات.

أما في ما يخص مصطلح التأويل فكان مصادفا لتفسير كتاب الله كما تعلق بالدلالة في البحث عن معاني الخطاب.

ومن هذا انبثق موضوع هذه المذكرة التي عنونت ب:"أثر السياق في تحديد الدلالة الوظيفية سورة مريم أنموذجا".

والغاية المرجوة والهدف المنشود من هذه الدراسة هو الكشف عن أثر السياق في تحديد الدلالة الوظيفية في السورة.

ولمناقشة القضايا المتعلقة بالسياق ودوره في الكشف المعنى والوظيفة انطلقت الدراسة من عدة إشكاليات وتساؤلات أهمها: ما السياق؟وما علاقة الدلالة بالوظيفة؟وما هي التداولية؟وما علاقتها بالسياق؟وما هو التأويل وما علاقته بالسياق؟.

ولكي تتحقق الدراسة هدفها المرجو تمّ وضع الخطة التالية:

- افتتحت بمقدمة أوضح من خلالها إشكالية الموضوع الذي أود معالجته.
- جعلت الفصل الأول تحت عنوان السياق في الدرس اللغوي وقسمته إلى ثلاثة مباحث:الأول تطرقت فيه إلى مفهوم السياق لغة واصطلاحا، أما الثاني:فعرضت فيه

أصول النظرية السياقية عند العرب والغرب وخصصت الثالث:للحديث عن معايير وأقسام السياق.

- أما الفصل الثاني:فجاء بعنوان:العلاقة بين الدلالة والوظيفة وبدوره احتوى ثلاثة مباحث، المبحث الأول:حمل عنوان الدلالة عند العرب والغرب القدماء والمحدثين، ومبحث ثاني تناول مفهوم الوظيفة، ولسانيات الوظيفية وتضمن المبحث الثالث:علاقة الدلالة بالوظيفة.
- وخصصت الفصل الثالث: للحديث عن علاقة السياق بالدرس التداولي وبالتأويل، قسم بدوره إلى ثلاثة مباحث، الأول:عرفت فيه التداولية وتطرقت إلى عناصرها، الثاني: حمل عنوان التأويل وتناول المبحث الثالث:علاقة السياق بكل من التداولية والتأويل.
- أما الفصل الرابع فعنونته بـ:أثر السياق في تحديد الدلالة الوظيفية في سورة مريم، فكان فصل تطبيقي، قسم إلى ثلاثة مباحث:الأول تناول السياق ودلالة الصوت والحرف، أما المبحث الثاني:اندرج تحت عنوان السياق ودلالة الكلمة، وتضمن الثالث:أثر السياق في تحديد بعض الظواهر اللغوية(المشترك اللفظي الترادف) في سورة مريم.
- وختمت بخاتمة جمعت أهم النتائج المتوصل إليها
- وقد اقتضت منا طبيعة الدراسة اتباع المنهج الوصفي التحليلي من أجل تبيان أثر السياق في فهم النص القرآني.

وركزنا في كل ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع كان أهمها:دلائل الإعجاز للجرجاني الكتاب سيبويه، والخصائص لابن جني، علم الدلالة لأحمد عمر مختار.في ظلال القرآن، تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

وكل بحث لا يخلو من الصعوبات التي قد تواجه الباحث ومن بين هذه الصعوبات التي واجهتني:تشعب الموضوع، وكذا صعوبة التعامل مع النص القرآني ولكن بعد القراءات المتفحصة استطعت أن أذلل تلك الصعاب.

وأتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور"بهلول شعبان" الذي بذل مجهودا كبيرا في إرشادي إلى الطريق الصحيح وتزويدي ببعض المعلومات فيكون بذلك قد ساعدني على إخراج هذه الدراسة إلى النور فله كل الاحترام والتقدير، وإلى الأساتذة المناقشين على الملاحظات التي سيبدونها.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن يوفقني إلى ما فيه الخير، ونسأله تعالى الصدق في القول والعمل، إنه خير مجيب.

الفصل الأول:السياق في الدرس اللغوي

المبحث الأول:مفهوم السياق لغة واصطلاحا

المبحث الثاني:أصول النظرية السياقية

المبحث الثالث:أنواع السياق

الفصل الأول: السياق في الدرس اللغوي:

يعد السياق محور رئيسي من محاور علم الدلالة، وهو ثمرة من ثمرات اللسانيات، فهذه الأخيرة جعلت منه نظرية ومنهجا خاصا في دراسة المعنى، إذا اهتم به العلماء اللغويون والبلاغيون والمفسرون والأصوليون وغيرهم.

وقبل الخوض في كينونة السياق، لابد لنا من أن نحدد ماهيته.

المبحث الأول: مفهوم السياق لغة واصطلاحا

-السياق لغة:

يعود السياق في أصله اللغوي إلى مادة(س.و.ق)، يقول ابن فارس(ت 395 هـ)* في معجمه "مقاييس اللغة":"السين والواو والقاف أصل وهو حدود الشيء يقال: ساق يسوق، والسيقة ما سيق من الدّواب ، ويقال سقت إلى امرأتي أي صداقها، وأسقته والسوق مشتقة من هذا كما يساق إليها مذكر شيء والجمع أسواق، وساق للإنسان وغيره والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي يساق عليها."[1]

وأما الزمخشري(ت 538هـ) فنجده ذكر في أساس البلاغة ما يقرب العشرين معنى لهذه المادة(س.و.ق) إذ يقول فيها:"ساق النعم، فانساقت، وقدم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلا واستقتهم إبلا، ومن المجاز ساق الله إليك خيرا، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب(...) وتساوقت

[1] أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، ص117.

* أبو الحسين بن فارس بن زكريا القزويني الرازي(ت395هـ)إمام لغوي من أشهر مؤلفاته معجم مقاييس اللغة، الاتباع والمزاوجة، اختلاف النحويين.

الإبل تتباعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئت بالحديث على سوقه على سرده."[1]

وقد ورد في لسان العرب لابن منظور(ت 771هـ) [*] في مادة (سوق):"السوق معروفة، وساق الإبل، وغيرها يسوقها سوقا سياقا وهو سائق وسواق."[2]

وجاء في المعجم الوسيط :" السياق:المِهْرُ وسياق الكلام تتباعه وأسلوبه الذي يجري عليه"[3]

والملاحظ أن هذه التعريفات متقاربة وهي تبين أن مادة(سوق) تدور في ذلك التتابع والاتصال وكذلك أن استعمال العرب لهذه المادة يدور على ذلك، وقد ورد في كلام العرب تعليلات لهذه الاستعمالات والتي تبين أن هذه المادة(سوق) تدور على ما ذكرناه سابقا، فإن سوق الإبل وتساوقها من التتابع، والتتابع اتصال لا انقطاع فيه، وساق الإنسان كذلك ، والمهر، وسوق الروح والسوق سوق البيع والشراء، كذلك إن دلّ فإنه يدل على معنى التتابع والاتصال.

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، تح محمد باسل عيون السود، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص484.

[*] ابن منظور أديب ومؤرخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية وهو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري(630هـ-771هـ)، أشهر مؤلفاته معجم لسان العرب.

[2] ابن منظور لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص484.

[3] مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص465.

-السياق اصطلاحا:

السياق في الاصطلاح:هو الذي يساعد في كشف معنى الكلمة نتيجة الوضع المتفق عليه بين المتكلم والسامع.[1]

يرى إبراهيم فتحي: *بأنه بيئة الكلام ومحيطه وقراءته.[2]

أما كمال بشر: *فقد أطلق عليه مصطلح المسرح اللغوي والمقام ومجريات الحال، وليس هو مجرد مكان يلقي فيه الكلام، إنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة آخذ بعضها بحجر بعض.

[1] ينظر عبد الواحد حسن، التنافر الصوتي والظواهر السياقية، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1999، ص30.

* عبد الواحد حسن الشيخ، من أهم مؤلفاته، قضايا النقد الأدبي والبلاغة عند اللغويين، بوحيان التوحيدي وجهوده الأدبية والفنية، أسس الكتابة العربية والانشاء.

[2] ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشر بن المتحدثين، صفاقس الجمهورية التونسية،1986، ص201.

* كمال بشر هو كمال محمد علي بشر ولد عام 1921، من حفظة القرآن حصل على دبلوم المعهد العالي للمعلمين في التربة وعلم النفس 1948 ومن جامعة لندن حصل على درجة الماجستير في علم اللغة المقارن 1953 وعلى درجة الدكتوراه في علم اللغة والأصوات 1956(ت2015).

فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين باثين ومستمعين ومتلقين وعلاقتهم ببعض، وهناك كذلك ما في المواقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي تفيد في فهم الكلام والوقوف على خواصه وهناك كذلك الكلام نفسه"[1]

وذهب تمام حسان [*]:" على أن السياق تأكيدا للمعاني اللغوية التي تدل على التتابع أو الإيراد فهو يرى أنه يقصد به التوالي ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولهما:توالي العناصر التي تحقق التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمى بـ:سياق النص، وثانيهما:توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى سياق الموقف.[2]

[1] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، نقل عبد المنعم خليل نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص82.

* تمام حسان(1918-2011) عالم نحوي عربي، صاحب كتاب"اللغة العربية معناها ومبناها الذي وضع فيه نظريته خالفت أفكار النحوي الكبير سيبويه ويعد أول من استنبط موازين التنغيم وقواعد التنبر في اللغة العربية، وأول من درس المعجم من أهم مؤلفاته اللغة بين المعيارية والوصفية، مناهج البحث في اللغة.

[2] تمام حسان، قرينة أسياق، بحث قدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد السنوي للكلية دار العلوم، مطبعة عبير الكتاب القاهرة، دط 1993، ص375.

ونجد جميل صليبا [*] قد أورد للمصطلح ترجمتين هما: contexte في الفرنسية، و contextفي الانجليزية، وقال أن:" سياق الكلام أسلوبه ومجراه، نقول وقعت هذه العبارة في سياق الكلام في تفسير النصوص وتأويلها فائدة منهجية، لأن معنى العبارة يختلف باختلاف مجرى الكلام، فإذا شئت أن تفسير عبارة من نص وجب عليك أن تفسرها بحسب موقعها في سياق ذلك النص."[1]

فالسياق هو تتابع الكلمات أو الفقرات تتابعا متسلسلا متجانسا في إطار الظروف والملابسات التي تحيط بها، ومراعاة لحال المتكلم والسامع، وهو يساعد على تحديد مدلول العبارات المتضمن في الفقرات والنصوص.

[1] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب البناني، بيروت، لبنان،1982، ج1، ص681.

جميل صليبا (1902-1976) كاتب وفيلسوف عربي، أستاذ اللغة العربية في جامعة النجاح الوطنية، ثم أصبح رئيسا للتعليم العالي، أهم مؤلفاته تاريخ الفلسفة العربية، المعجم الفلسفي من الخيال إلى الحقيقة.

المبحث الثاني:أصول النظرية السياقية

-السياق في الثقافة العربية:

مما لا شك فيه إن الكلمات ترتبط فيما بينها في السياق بعلاقتها بما قبلها وما بعدها فالسياق هو المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية للكلمات، ويعوّل هذا الترابط بين العناصر السياقية على مفهوم التعليق كما يتجلى ذلك في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وكان علماء العربية القدامى –رحمهم الله– قد اهتدوا في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى ما يحف بظاهرة الكلام من الملابسات كالسامع والمقام وظروف المقال وكل ما يقوم بين هذه العناصر من روابط وسنوجز الحديث عن أهم الدراسات العربية القديمة التي اهتمت بالسياق:

1)السياق عند اللغويين:

لقد اهتم اللغويون اهتماما كبيرا بتركيب الألفاظ بعضها ببعض، فنجد سيبويه*(ت 180هـ)قد تطرق في "الكتاب" إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام بعنوان(هذا باب ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك:أتيتك أمس وسآتيك غدا.وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقولك:أتيتك غدا،وسآتيك أمس.وأما المستقيم الكذب فقولك:حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه.

* سيبويه148-186هـ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، يكنى أبو بشر، الملقب بسيبويه، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك:قد زيد رأيت، وكي زيد يأتيك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول سوف أشرب ماء البحر أمس."[1]

فمذهب اللغويين يستند لمعيار الصدق والكذب، يفترض أنه يجمع أنه يجمع بين حسن التركيب والتوافق مع الواقع الخارجي.

وهذا المعيار يرتكز على:

-التطالب اللفظي

-التوافق بين التركيب اللغوي والواقع الخارجي

-فالتطالب اللفظي هو الذي يفرضه أحد الألفاظ على الألفاظ الأخرى في الجملة، كما تطرق إليه سيبويه في حديثه عن المستقيم الحسن بين اللفظين(أتيتك وأمس)و(سآتيك وغدّا)، مما يقودنا إلى التسليم بأن التوافق الدلالي بين الألفاظ يعد مطلبا أساسيا في الأداء السليم للغة.

-أما التوافق بين التركيب اللغوي والواقع الخارجي فهو ما تطرق إليه سيبويه في حديثه عن المستقيم الكذب:(حملت الجبل، وشربت ماء البحر)إذا فليس كل تركيب لغوي صحيح نحويا يحمل بالضرورة معنا صحيحا دائما، بل يقودنا للالتباس في التسليم بصحة الدلالة للتنافي العقلي بين صحة التركيب ومقولات الواقع، لأنها عمليات عقلية ناتجة عن تجربة اجتماعية غير لغوية لكنّها تؤدي دورها في قبول أو رفض دلالة تركيب ما.

[1] عمرو بن عثمان(سيبويه)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1988/1408، ج1 ص26/25.

- وتحدث ابن فارس(ت395هـ) عن الخبر بقوله:"الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من زمان أو مستقبل أو دائم، نحو (قام زيد) و(يقوم زيد)و(قائم زيد)، ثم يكون واجب وجائزا وممتنعا، فالواجب قولنا(النار محرقة)، والجائز قولنا(لقي زيد عمرا) والممتنع قولنا:(حملت الجبل)."[1]

إذا ابن فارس قال بمصطلحات الامتناع والوجوب والجواز بناء على التسليم العقلي بصحة الخبر في النار محرقة وجواز أن يلقى زيد عمرا، وامتناع أن يحمل الجبل. فنظرا لتعدد الدلالة المعجمية للألفاظ الذي يظهر جليا في الترادف والتضاد، والاشتراك، فقد أشار اللغويون إلى أنّ ذلك التعدد لا يكون إلا خارج السياق، أي أنه لا مجال للدلالة المحتملة داخل السياق لأنه يفرض عليها دلالة واحدة فقط.

وقد قال أبو بكر الأنباري(ت 328هـ)*:"إن كلام العرب يصحّح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد".[2]

---

[1] أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي، تح أحمد حسن، بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997/1418، ص133.

[2] أبي بكر الأنباري، الأضداد، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ،1960، ص2.

* ابن الأنباري، ابو بكر الأنباري، الامام الحافظ اللغوي ذو الفنون محمد بن قاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن فروة بن قطة بن دعامة أبو بكر الأذباري(271-328هـ) المقرئ النحوي من أهم مؤلفاته، كتاب الأضداد، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات .

هذا ما كان رأيه في اللفظ من الأضداد، ثم عمم حكمه على اللفظ المتعدد المعاني بقوله:"ومجرى حروف الأضداد، مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف، ويتأخر بعده مما يوضح تأويله".[1]

فمما سبق نستنتج أن اللغويين العرب اهتموا بالسياق، ومن بينهم أبو بكر الأنباري والذي شدد على أهمية السياق في الكشف عن المعنى المقصود للكلمة أو الحرف داخل الجملة لأن بواسطته يتم استنباط المعنى المراد.

2)السياق في الدرس البلاغي:

أما عن ملامح فكرة السياق عند البلاغيين، فقدموا لدراسة المعنى الدلالي فكرتين واللتان تعدان اليوم من أفضل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنى الاجتماعي الدلالي وأول هاتين الفكرتين فكرة(المقال)، والثانية فكرة (المقام) وكان علماء البلاغة قد ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعارا يهتف به كل ناظر في المعنى وهي عبارة(لكل مقام مقال).[2]

لقد نالتا هاتان المقولاتان نالت اهتمام علماء البلاغة، وأخذتا تقرران وجود علاقة لا يمكن تجاوزها بين المقال والمقام، فالمقال دليل على المقام ومعرفة المقام مهمة في فهم المقال، وكانتا أساسا

---

[1] المصدر السابق، ص3-4.

[2] جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة، تح ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 2003/1424، ص12.

* الخطيب القزويني هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب، دمشق كاتب ومؤلف غربي من أهم مؤلفاته الإيضاح في علوم البلاغة، تلخيص المفتاح.

مهما في توجيه البحث البلاغي، وهذا يدل على أنهم سبقوا الدارسين الغربيين بمئات السنين، لأن تحليل المعنى على أساس الموافقة بين النص والسياق أو المقال والمقام يعد من أحداث النظريات دراسة اللغة، فانطلقوا في مباحثهم من فكرة السياق، وربطوها بالصياغة، أو بمعنى آخر ربط الصياغة بالسياق.[1] وضرورة مراعاة البليغ للأحوال والمقامات التي يقتضيها(الحال)، كما لا يخفى أن السياق عندهم يختلف في التسمية فنجدهم يطلقونه على المقام.

فكل ما قاله المحدثون من ظروف اجتماعية ومقامية تكون سياق الموقف لخصه البلاغيون القدماء في عبارة(لكل مقام مقال).

ولعل أول من أشار إلى المقام وبين أهميته بشر بن المعتمر(ت 210هـ)، إذ نقل عنه الجاحظ(ت255هـ)*قوله:" المعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من المعاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال."[2]

ويقرر البلاغيون أنه ينبغي للمتكلم أن يعرف حال المخاطب ليراعيها في نسج عبارته، فيكف تعبيره على وفق الحال التي عليها، وقد أشار إلى ذلك بشر بن المعتمر، فقال:" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من

[1] المصدر السابق، ص80.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ، ط2، القاهرة، 1970، ج1، ص135.

* الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليث الكناني البصري(159هـ-255هـ)، دين عربي توفي بالبصرة، أهم مؤلفاته البيان والتبيين في أربعة أجزاءنالحيوان، البخلاء.

ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ..."[1]

وكذلك الخطيب القزويني(ت 739هـ) الذي عرّف "علم المعاني"بأنه:" هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من السياق وما يحيط به من القرائن، أو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبرة عن المعنى المقصود" [2]وعرف بلاغة الكلام بأنها:" مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"[3]

فمراعاة اللغويين والبلاغيين للمقام أو سياق الحال أكثر من غيره فهذا لا يعني أنهم أهملوا السياق اللغوي، فقد استعملوا السياق والتفتوا إليه، وإن نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) قامت على مفهوم السياق اللغوي أي تتابع الألفاظ على نسق معين وتعلقها والتئامها واللفظ عنده لا يكتسب دلالته وقيمته إلا من السياق الذي يرد فيه، فيقول:" معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلام:اسم وفعل وحرف وللتعلق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعد وثلاثة أقسام تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل وتعلق حرف بينهما."[4]

---

[1] المصدر السابق، ج1، ص138.

[2] جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(الخطيب القزويني)، الايضاح في علوم البلاغة، تح ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1 2003/1424، ص4.

[3] المصدر السابق، ص20.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مطبعة القاهرة، مصر، ط1، 1991، المقدمة، ص01.

*عبد القاهر الجرجاني أبو بكر عبد القاهر بن محمد الجرجاني، فصل العلوم العربية والقرآنية، توفي عام471هـ.

"إذ أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما فوائد." [1] وهذا يعني أن عبد القاهر يرى أن تركيب الكلمات هو الذي يعطي لكل جزئية أهميتها في السياق.

فالسياق هو نقطة البدء، بحيث لا يمكن وجود كيان للتعبير إلا من خلاله وحينئذ من الواجب رصد السياق، ثم البحث عن الألفاظ وعلاقتها فيه ثانيا.[2]

وقد ذكرنا سالفا أن الكلمات ترتبط فيما بينها في السياق بعلاقتها بما قبلها وما بعدها ويعول هذا الترابط بين العناصر السياقية على مفهوم التعليق، كما يتجلى ذلك في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، فقد يتعلق الاسم بالفعل، فيكون الاسم فاعلا أو يكون التعلق بين الاسم والاسم فيكون الثاني خبرا للأول الذي هو المبتدأ، أو يكون صفة أو تأكيدا أو بدلا وهكذا.

وقد صرّح عبد القاهر الجرجاني بالسياق في أثناء حديثه عن سرّ إعجاز القرآن الكريم إذ يرى:" أن العرب أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها مواقعها"[3] وتصريحه بالسياق يدّل على إدراكه أهمية مراعاة السياق اللغوي في بيان دلالات الألفاظ ومعرفة إعجاز القرآن فضلا عن مراعاة سياق الحال.

ونخلص مما سبق إلى أن اهتمام البلاغيين بالسياق كان واضحا وجليا، ويتبين ذلك من خلال استخداماتهم له، وإعطائهم له قيمة قصوى في عملية بنائهم ونسجهم للتراكيب اللغوية وكذلك في عملية تحليلهم لهذه التراكيب اللغوية وتفكيكها بغرض الوصول إلى المعنى المراد.

---

[1] المصدر السابق، ص537.

[2] أحمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص241-242.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، مصر، ط1، 1991، ص39.

3) السياق في الدرس النحوي:

اهتم النحاة بالسياق في العديد من المناسبات حيث اعتنى الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ) بالعلاقة بين المتكلم والمخاطب، وذلك عند الحديث عن"قد" جواب لمن قال لما يفعل، فتقول في الجواب: قد فعل، وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر فقال الخليل:" إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، ولعلم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام."[1] وهذا هنا لا يدع مجالا للشك في أن الخليل اعتمد اعتمادا واضحا على السياق اللغوي وغير اللغوي في تقعيده النحوي لبيان مبنى التراكيب ودلالتها.

وكذلك نجد تلميذه سيبويه (ت 180هـ) قد أولى كلا من"السياق اللغوي"و"سياق الحال" اهتماما كبيرا لما له من أثر في مباني التراكيب، من حيث الذكر والحذف أو التقديم والتأخير أو التوجيه النحوي والحكم بصحة التركيب، والدليل على ذلك استعانته بالسياق اللغوي بكثرة في بيان أحد العناصر المحذوفة في التركيب، فمن ذلك الاستغناء عن تكرار كل في قول الشاعر:

أكُلُّ امرئٍ تحسينَ امرأً ونارٍ توقَّد بالليل نارًا

بجر (نارٍ) والتقدير و(كل نار) وذلك ولذكرك إياه في أول الكلام ولقلة التباسه على المخاطب.[2]

ويقول سيبويه عن قولك :(ضرب عبد الله زيدا):"فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك:ضرب زيدا عبد الله، لأنك دائما أردت به مؤخرا ما أردت

[1] سيبويه، الكتاب، تح الأستاذ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، دت، ج3، ص103.

[2] ينظر سيبويه، الكتاب، ج1، ص66-232.

به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤخرا في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي ببيانه أعنى، وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم."[1]

وهو هنا يعتمد على دور العلامة الإعرابية في بيانها للفاعل والمفعول حتى مع التقديم والتأخير فقد لاحظ أن المعنى النحوي لزيد وعبد الله غير مختلف في كلتا الجملتين وهذا يتضح من قوله(جرى اللفظ كما جرى في الأول)، أي رفعت الفاعل(عبد الله) مع التأخير، ونصبت المفعول(زيدا) مع التقديم، وهذه العلامة الإعرابية من عناصر السياق اللغوي الدالة على الفاعل والمفعول في مثل هذه الجمل التي خالفت الرتبة الأصلية.

ويؤكد على دلالة العلامة الاعرابية وتفريقها بين نائب الفاعل والمفعول، فيما بني للمفعول من الأفعال التي تنصب مفعولين ليس أصلها المبتدأ والخبر، نحو(كسِي عبد الله الثوب)و(أعطي عبد الله المال)، فقد" انتصب الثوب والمال لأنهما مفعولان تعدى إليهما فعل مفعول هو بمنزلة الفاعل، وإن شئت قدمت وأخرت، فقلت كسِيَ الثوب زيد وأعطيَ المالَ عبد الله، كما قلت :ضرب زيدًا عبد الله فأمره في هذا- أي أمر نائب الفاعل في التقديم والتأخير-كأمر الفاعل."[2]

ويبدو أن ابن جني(ت 392هـ) لم يأخذ بالعلة التي ذكرها سيبويه بشأن التقديم والتأخير، بل ذهب إلى أن المفعول قد شاع عنهم واطرد من مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل حتى دعا ذاك أبا علي إلى أن قال:"بأن تقدم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه، كما أن تقدم الفاعل قسم أيضا

[1] سيبويه، المرجع السابق، ج1، ص34.

[2] ينظر سيبويه، الكتاب، ج1، ص42.

قائم برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا" [1] أي أن المفعول لم يتقدم للعناية والاهتمام به، وإنما يصير تقديم المفعول لما استمر وكثر كأنه هو الأصل، وتأخير الفاعل كأنه أيضا هو الأصل.[2]

ولعلّ ابن جني لما ذهب إلى هذا الرأي دائما قصد ذلك التقديم الذي لا يقتضي المقام حصوله.[3]

كما أشار سيبويه في مواضع متفرقة إلى طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للتركيب، أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي والمتمثلة في"الوقف" و"النبر" و"التنغيم".

فالوقف اعتمد عليه سيبويه في توجيه المعنى على مستوى التركيب، وجعله ضابطا لصحة التركيب فمن ذلك قوله:" واعلم أنه يقبح:زيدا عليك، وزيدا حذرك، لأنه ليس من أمثلة الفعل فقبح أن يجري ما ليس من الأمثلة مجراها، إلا أن تقول (زيدا)، فتنصب بإضمارك الفعل تذكر(عليك) بعد ذلك."[4]

---

[1] ابن جني، الخصائص، تح أحمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، دط، دت، ج1، ص29.

[2] ابن جني، المرج السابق، ج1، ص295.

* ابن جني أبو الفتح بن جني ولد 322 بالموصل أهم مؤلفاته الخصائص، المحتسب سر صناعة الإعراب.

[3] ينظر عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة ، القاهرة، مصر، ط1، 1970، ص86.

[4] سيبويه، الكتاب، تح الأستاذ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، دت، ج1، ص252-253.

ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال لا يحسن ذا في ذا الموضع إنما قال:" وما يشعركم"، ثم ابتدأ فأوجب فقال:" إنها إذا جاءت لا يؤمنون"، ولو قال" وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون" كان ذلك عذرا لهم."[1]

ومن هذا المنطلق فإن الوقف يسهم بشكل كبير وجلي في تفسير النصوص وبيان دلالتها، ولا يفوتنا جهد علماء القرآن والقراءات في بيان مواضع الوقف والابتداء في النص القرآني.

أما التنغيم:"فيظهر من قول سيبويه في باب الندبة: اعلم أن المندوب مدعو ولكنه متفجع"عليه فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنهم ينرنمون فيها، واعلم أن المندوب لا بد له من أن يكون قبل اسمه(يا)أو (وا) كما لزم(يا) المستغاث به والمتعجب منه."[2]

إذن فالنحاة قد أدركوا وظيفة السياق ودلالته وإننا لنجدهم قد استعانوا بطرق الأداء اللغوي المصاحبة للنطق بالعبارة كالوقف والنبر والتنغيم.

4)السياق عند الأصوليين:

لمعرفة كيف اعتمد الأصوليون على السياق وكيف تطبيقهم له لابد أن نقدم تعريفا لعلم الأصول.

علم الأصول هو:العلم الذي يدرس العناصر المشتركة أو القواعد العامة في عملية استنباط الحكم الشرعي، أو تحديد الموقف العملي، وهو أيضا طرق الفقه، فأصول الفقه هي أدلة الفقه ودلالتها على الأحكام الشرعية وهو علم يبنى على القواعد التي توصل إلى استخراج الأحكام، والذين

[1] ينظر سيبويه، المرجع السابق، ج3، ص123.

[2] سيبويه، الكتاب، ج2، ص220.

يطبقون هذه القواعد يسمون"الأصوليين" ويمكن القول إن الإمام الشافعي(ت204هـ)أول الأصوليين الذين تفطنوا لأهمية السياق في فهم وإدراك معاني النصوص، حيث أورد بابا في كتابه"الرسالة"أسماه"باب الصنف الذي يبين سياقة معناه" ومن بين ما جاء فيه تفسيره لهذه الآية:قوله تعالى:" وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾[1] دل على أنه إما أراد أهل القرية، لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وإنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون"[2]

كما كان ابن القيم الجوزية(ت 751هـ) من بين الأصوليين الذين اهتموا بالسياق وأولوه اهتماما خاصا، إذ يقول:" السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعال:"ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾[3]

[1] سورة الأعراف الآية 163.

[2] محمد بن ادريس الشافعي، الرسالة، تح احمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، جمهورية مصر العربية ط1، ص62-63.

[3] سورة الدخان الآية 49.

كيف تجد سياقه يدل على الذليل الحقير."[1]

فهو بقوله هذا يؤكد على أهمية السياق في ضبط المعنى وتقييده له وذلك بإسقاطه-أي السياق- لباقي المعاني غير المقصودة من المتكلم.

-السياق في الثقافة الغربية:

فكما اهتم العرب بالسياق واستخدموه استخدامات متعددة، نجد في المقابل كذلك علماء الهنود قد شاركوهم في ذلك.بحيث تعتبر جهود عالم الاجتماع والأجناس البشرية "برونسلا ومالينوفسكي"(Malinouski bronislaw(1942-1884، بمثابة حجر الأساس لنظرية السياق، وذلك من خلال محاولاته لترجمة بعض الكلمات والجمل في اللغات البدائية:(لغات الهنود الحمر في أمريكا)إلى اللغة الانجليزية حينها صادفته عدة صعوبات، عندها تأكد له أن الكلمة المعزولة عن سياقاتها لا تعدو أن تكون أصواتا مبهمة، فأدى به ذلك إلى اقتراح حلا لهذه المشكلة، وهو ضرورة تحليل أنماط السياقات الكلامية من ناحية، ومراعاة ملابسات الظروف غير اللغوية المصاحبة من ناحية أخرى، ومن ثم توصل إلى أن معنى الكلمة هو الوظيفة التي تؤديها في سياق ما، ثم ساق الموقف أو الظروف المشهورة Contexte of situationوالتي تعني سياق الموقف أو الظروف الخارجية المصاحبة للأداء اللغوي.[2]

وأتى بعده العالم اللغوي الفرنسي فندريس Vendryes والذي أكد على ضرورة الاهتمام بالسياق في عملية التحليل اللغوي للنصوص، فالسياق "هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على كل

[1] محمد ابن أبي بكر بن أيوب(ابن قيم الجوزية)، بدائع الفوائد، تح علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة السعودية، ص9.

[2] ينظر عبد الفتاح عبد العلم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص55.

كلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها، في جو يحدد معناها تحديد مؤقتا، والسياق: هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها والسياق أيضا:هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية."[1]

ولكن بعض الباحثين يرون أن العالم الانجليزي جون روبرت فيرث(Jr firt(1960-1890

هو أول من حاول تأسيس نظرية سياقية ثابتة القواعد واضحة المعالم وذلك من تقديمه لرؤيته الجديدة في مفهوم الدلالة في علم اللغة الحديث والتي تبنته مدرسته التي عرف بها"المدرسة الألسنية الاجتماعية"، حيث خلص إلى أن لملابسات الظروف والأحداث أو سياق الحال دورا أساسيا في تحديد وضبط معنى الكلمة أو الجملة داخل النص. [2]كما نجده اهتم بنوع آخر من السياق والذي أسماه السياق اللغوي Linguistique Context ويعني به مجموعة الوظائف المستفادة من عناصر أداء المقال التي تحوزها الجملة.[3]

[1] محمد اسماعيل يصل وفاطمة بله، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها فصيلة محكمة، العدد 18، 1393هـ/2014، جامعة تشرين اللاذيقية، سورية، ص4.

[2] محمد اسماعيل يصل وفاطمة بله، المرجع السابق، ص514.

[3] ينظر عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث، وعلم اللغة الحديث، ص98.

وقد أكدّ على:" التوازي بين السياقات الداخلية والشكلية وبين السياقات الخارجية للموقف."[1]

ومن هذا نخلص إلى أن فيرث قد تبنى ما جاء به مالينوفسكي والذي هو سياق الحال، واهتم أيضا بالسياق اللغوي.

أسس نظرية فيرث: وتتمثل في ما يلي:

- الاهتمام المتساوي بالسياقيين الخارجي واللغوي في عملية التحليل.
- تثمين كل عناصر السياق اللغوي بصفة متساوية
- رفض فكرة الوظيفة الأساسية، لأن كل وظيفة تعتبر أساسية في المقام الذي قيلت فيه.
- الاهتمام بالقاعدة التجريدية والأنماط الثانوية عكس مفاهيم النحو التقليدي.
- لا تعتبر اللغة نظاما شكليا فحسب، بل نتاج اجتماعي أيضا.
- ترى أن الجملة هي الوحدة الأساسية في الاستخدام اللغوي.
- تعتقد أن المفهوم النفعي للمعنى ذو طبيعة متغيرة، وذلك لارتباطه بالكلام الفعلي.

أهم الانتقادات الموجهة لنظرية فيرث:

ونجملها في مايلي:

1. قدم فيرث نظرية للسيمانتيك، وليس نظرية شاملة للتركيب اللغوي، غير أن المعنى يعتبر مركبا من السيمانتيك والأصوات والنحو والمعجم.

[1] محمد اسماعيل يصل وفاطمة بله، ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابهافصيلة محكمة، العدد 18، 1393هـ/2014، جامعة تشرين اللاذيقية، سورية، ص5.

2. عدم دقة فيرث في استخدام مصطلح السياق Contextمع أهميته، كما كان حديثه عن الموقف Situation غامضا، وحديثه عن السياق مبالغا فيه.
3. منهج فيرث هذا مفيد لمن يريد تتبع استعمالات الكلمة، واستخداماتها العملية لا من تصادفه الكلمة التي عجر السياق عن إجلاء معناها."[1]

أما ستيفن أولمان السياق فقد ناقش السياق وحدد مفهومه تحديدا واضحا وشاملا، إذ أشار إلى:"أنه (السياق)ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية (اللفظ المعني) فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن."[2] فهذه العوامل لها تأثيرها المباشر على المعنى الواضح للكلمات ولو طبق مبدأ السياق لا تبعدنا عن الأخطاء المتعلقة بالاقتباسات والتفسيرات والترجمات ويقول أولمان وهو يناقش موضوع السياق بأن:" نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن.

أما دي سوسير فقد أشار إلى أن:" السياق...يتركب دائما من وحدتين متتاليتين فأكثر...والكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا."فالمعنى السياقي عند"دي سوسير" علاقة بين الدال والمدلول تسمى تلك العلاقة بـ(العلاقة السياقية) فهناك علاقات تقوم بين الكلمات في تسلسلها، تعتمد على خاصية اللغة الزمنية كخط مستقيم يستبعد فيه إمكانية النطق بعنصرين في وقت واحد بل تتابع

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص73-74.

[2] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر كمال بشر، مكتبة الشباب، ط10، 1986، ص60.

العناصر بعضها إثر بعض، وتتألف في سلسلة الكلام، والتقابل الحاصل بينهما هو ما يجعلنا نفهم طبيعة كل منهما.

وما يمكن أن نستخلصه من النظرية السياقية بزعامة فيرث أنها أكدت أهمية هذه المستويات كما أضافت التأثير الخارجي للغة، وهو الاحتكام إلى سياق الحال Context of situationفي تفسير اللغة.[1]

المبحث الثالث: أنواع السياق

وهي أربعة أنواع:

1: السياق اللغوي: Linguistique context: ويعرفه ردة الله بن ردة قائلا:"إن السياق اللغوي هو الأرض الخصبة التي تبذر فيها المباني اللفظية بنوعيها(الوظيفية والمعجمية) لأن السياق كما يرى هايمز Dell haymes يؤدي دورا مزدوجا :"إذ يحصر مجال التأويلات، ويدعم التأويل المقصود، ولذلك قال عنه أولمان إنه "الحارس الأمين للمعنى" إذا فالاستعانة بالمعجم لفهم اللفظ داخل الجملة لا يفي بالغرض، لأن للفظ عدّة استعمالات، تتعلق بوضع المفردة، وفهمها دلاليا ولغويا، وعلاقتها بما قبلها أو بعدها، ففي المشترك اللفظي مثلا تعدد المفاهيم للمفردة الواحدة وقد أورد الإمام السيوطي(ت 911هـ) في كتابه المزهر في علوم اللغة وأنواعها"أبيات للخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ) من السريع جاء فيها:

يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب

أتبعتهم طرفي وقد أمنعوا ودمع عيني كفيض الغروب

[1] :المرجع السابق،ص89.

بانوا وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل أقاجي الغروب

فالغروب الأول:غروب الشمس **والثاني**: جمع غرب:وهو الدّلو العظيمة المملوءة، **والثالث**: جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة.[1]

ولولا السياق في هذه الأبيات الشعرية كما توصلنا إلى مفهوم مفردة(الغروب)، إذا فالسياق اللغوي هو الذي يحدد مفهوم اللفظ داخل التركيب، أو" هو فهم النص ودراسته من خلال استعمال المفردة داخل نظام الجملة، وعلاقتها لما قبلها أو بعدها، فالرجوع إلى المعجم في فهم اللفظ في الجملة له استعمالات كثيرة، تتعلق بوضع المفردة وفهمها من كافة الجوانب لغة ودلالة."[2]

2: السياق العاطفي Enotional context: يرى ستيفن أولمان إن اللغة وظيفتان أساسيتان وهما:

- وظيفة تعبيرية عن الحقائق والقضايا الموضوعية، أي خالية من القوالب العاطفية التي تشمل الفرح والحزن.
- ووظيفة عاطفية، أي أنها تكون مشحونة بالانفعالات والعواطف، ولكي نتمكن من تحديد هاتين الوظيفتين يقول ستيفن أولمان أنه يجب علينا الاستعانة بالسياق، فيقول:" السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها أساسا –التعبير عن العواطف والانفعالات، وإلى إثارة

[1] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، ج1، ط3(دت)، ص376.

[2] علي حميد خضر، دلالة السياق في النص القرآني، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستر في اللغة العربية وآدابها، إشراف عبد الإله الضائع الأكاديمية العربية في الدانمارك، كوبنهاجن، الدانمارك ، ص41.

هذه العواطف والانفعالات، ويتضح هذا بصفة خاصة في مجموعة معينة من الكلمات نحو(حرية وعدل) التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضمونات عاطفية.بل إنّ بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد تكتسب نعمة عاطفية قوية غير متوقعة في المواقف الانفعالية." [1]فستيفان أولمان يرى أن السياق العاطفي- هو الذي يكشف لنا عمّا تحدثه اللغة من تأثير عاطفي وانفعالي كالنبر والتنغيم، وكل ما يمكن أن يمثل الشعور الانفعالي لدى الإنسان، أو هو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يتطلب التأكيد أو المبالغة أو الاعتدال.[2]

3: سياق الموقف Situation context: وهو ما اصطلح عليه علماؤنا العرب بالمقام، وقد اشتهر عند البلاغيين بعبارة"لكل مقام مقال" وفيه يجب مراعاة بيئة المتكلم وكل ما يتعلق بالكلام من حقيقة ومجاز، دون إهمال الظروف الاجتماعية المصاحبة للحدث الكلامي، مع مراعاة للمناسبات سواء أكانت للحزن أم للألم أو للإغراء، وقد عرفه أحمد مختار بأنه:" الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة."[3]

[1] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر كمال بشر، مكتبة الشباب، ص58.

[2] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998، ص70.

[3] أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص71.

ويعرفه محمد محمد يونس علي في كتابه"المعنى وظلال المعنى" بأنه:" كل ما يقوله المشاركون في عملية الكلام وما يسلكونه كما يشكل الخلفية الثقافية بما تتضمنه من سياقات خبرات المشاركين وقد أشار فيرث إلى أن كل إنسان يحمل معه ثقافته، وكثيرا من واقعه الاجتماعي حيثما جل."[1]

إذن فسياق الموقف هو العملية الكلامية والأطراف المشاركة فيها، والسلوكات المصاحبة لها كالإيماءات والإيحاءات بالإضافة إلى الظروف الاجتماعية والثقافية للمشاركين في العملية التخاطبية.

عناصر سياق الموقف:

1. شخصية المتكلم والسامع، ومن يشهد الكلام، ودور المشاهد في المراقبة والمشاركة.
2. العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة المصاحبة للحدث الكلامي.
3. أثر الحدث اللغوي في المتخاطبين كالإقناع أو التعبير عن الفرح أو الشعور بالألم والحزن أو الإغراء.[2]

[1] محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007 ص120.

[2] علي حميد خضر، دلالة السياق في النص القرآني، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستر في اللغة العربية وآدابها، إشراف عبد الإله الضائع الأكاديمية العربية في الدانمارك، كوبنها، الدانمارك، ص45.

4: السياق الثقافي: context of cultureأوcultiral contex :"أي سياق الثقافة وهو ذلك السياق الذي تنضوي تحته السياقات الأخرى لغوية أو غير لغوية.[1] وهو المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة."[2]

[1] ردة الله بن ردة، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423، ص53.

[2] ينظر علي حميد خضير، المصدر السابق، ص47.

الفصل الثاني:العلاقة بين الدلالة والوظيفة

المبحث الأول:الدلالة عند القدامى(العرب والغرب)

المبحث الثاني:مفهوم الوظيفة،اللسانيات الوظيفية

المبحث الثالث:علاقة الدلالة بالوظيفة

المبحث الأول: الدلالة عند القدامى

1: إسهامات علماء العربية قديما في الدراسات الدلالية:

لقد اجتهد كل من النحاة واللغويون في دراسة اللغة العربية وتحديد معالمها، من جميع نواحيها:الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية المعجمية.وقد برز العرب بشكل خاص في دراسة المعاجم وتصنيفها فظهرت الإرهاصات الأولى لعلم الدلالة في مرحلة نشأته الأولى عند العرب والمسلمين في شكل حقول مختلفة، وقد كانت هناك مظاهر للتناول الدلالي في كتب اللغة العربية وكذلك في مصنفات فقهية عولجت فيها مشكلة المعنى.

ومن بين هؤلاء اللغويين نجد الجاحظ (150هـ/255هـ) والذي تتجلى إسهاماته في علم الدلالة من خلال مؤلفه:"البيان والتبيين" حيث سعى فيه إلى تبيين أهمية المعاني في البيان ودورها في بناء التصور، فعقد أبوابا خاصة لبيان طبيعة المعاني وعلاقتها بالألفاظ، فالدلالة عنده هي أنواع متباينة تختلف في طريقة إيصالها للمعنى والتعبير عنه، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، أولها اللفظ وآخرها الحال"[1] وعليه فإن مختلف أنواع الدلالات أطلق عليها الجاحظ تسمية-علم البيان-إذ لا يتم تحصيلها إلا من خلال خمسة أشياء وهي :(اللفظ)والإشارة والعقد والخط والحال.

أ)اللفظ:

يعد اللفظ من أهم وسائل البيان عند الجاحظ، قوامه الأساسي هو الصوت وفي هذا الصدد يقول:"والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف."[2]

[1] ينظر أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتب الهلال، بيروت2002، ج1، ص82.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص84.

فالجاحظ يعتبر الصوت ركيزة أساسية لكل لفظ، فهما وجهان لعملة واحدة، فبالصوت يكون اللفظ، وباللفظ يكون الصوت.

ب)**الإشارة:**

وتكون إما باليد أو بالرأس أو بالعين أو بالحاجب أو بالثوب أو بالسيف.

ج)**العقد:**

ويقصد به الحساب وبه تعرف منازل القمر، الشمس، عدد السنين وكل هذه الآيات دليل قاطع على عظم قدرته، قال تعالى:" ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ [1]

د)**الخط:**

ويقصد به القلم، وهو وسيلة تبين في الكتب، قال تعالى:" ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ [2]

وفي قوله تعالى:"نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ [3]

[1] سورة الرحمن الآية 1-7.

[2] سورة العلق الآية 3-4.

[3] سورة القلم الآية 1.

هـ)الحال:

التي تسمى النصبة فهي الحال الدالة بغير اللفظ أو بغير إشارة، وذلك ظاهر في مخلوقاته ومما ذكر الله عز وجل في كتابه قوله تعالى:" وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ [1]

فهذه الآيات كلها تدل على قدرة الله عز وجل، وهي برهان على عظمته وقدرته فعظمة هذه المخلوقات دلالة واضحة على عظمته.[2]

[1] سورة الروم الآية 22-24.

[2] أبو عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتب الهلال، بيروت2000، ج1، ص86.

فبهذه المقاصد الخمسة نتمكن من الكشف عن سعة الدلالة التي تؤدي بدورها إلى المعنى بل أنه يساوي بين الحي والجماد في الدلالة على المعنى"ومتى دلّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا وأشار إليه وإن كان ساكنا." [1] ونجد ذلك ظاهرا في مخلوقات الله تعالى في كل صامت وناطق، وجامد وحي.

أما الظاهرة التي تفرد بها، فهي ظاهرة التقابل، وما يجدر ذكره عنده، النظم هو إسهامه الجبار في إرساء قواعد نظرية النظم وذلك من خلال تعريفه لأدوات البيان، فالبيان مؤسس على معايير خمسة، كما سبق ذكرها ومصطلحات النظم، وبهذا يمهد الجاحظ لنظرية النظم التي تأسست واكتملت فيما بعد على يد عبد القاهر الجرجاني من خلال مؤلفه "دلائل الإعجاز" كفى بالجاحظ ما قدمه من جهود أنه أثار قضية البحث في"المعنى".

أما عبد القاهر الجرجاني(ت 471هـ)فتعد محاولته من أنجح المحاولات في الحقل الدلالي ببحثه في علاقة اللفظ بالمعنى وتحديده بدقة لعملية انتقاء المتكلم للألفاظ والمعاني، أثناء الحدث الكلامي فيقول:"إن الألفاظ، إذا كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لم

عنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق." [2]فمن خلال قوله نلاحظ أن الجرجاني يعطي الأسبقية للمعاني في ذهن المتكلم على حساب الألفاظ، ويعلل الجرجاني على قوله هذا بمعيار التغيير الذي يطرأ على المعنى دون اللفظ فيقول:"فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث

[1] المصدر السابق، البيان والتبيين، ج1، ن، ص.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد الشاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004، ط5، ص98.

هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ."[1]

ويمكن على هذا الأساس أن نذكر على وجه المقاربة رأي الجرجاني للدليل اللغوي برأي المحدثين من الدارسين المبرزين الأوروبيين الذين تحدثوا في مؤلفاتهم-أمثال أوغدن وريتشاردز-عن المكونات الثلاثة للعلامة اللغوية وهي (الدال والمدلول والمحتوى الذهني)

- ثلاثية عبد القاهر الجرجاني(اللفظ، المعنى، الصورة الذهنية التي تعادل محتوى الدال)
- ثلاثية كل من أوغدن وريتشاردز:(الدال، المدلول، المحتوى الذهني الذي يعادل مدلول الدال)

فاللغة عند عبد القاهر الجرجاني تتمظهر في تقابلات ثنائية قطباها(اللفظ والمعنى)، (الدال والمدلول)، وأن اللغة ليست لغة بغير وجود هذه الثنائية، كما يرد وضوح الدلالة إلى حسن التأليف بين أجزاء الحدث الكلامي ونظم ألفاظه، مع ضرورة توخي معاني النحو وأحكامه فيقول:"إذا كان النظم سويا والتأليف مستقيما، كان وصول المعنى إلى قلبك، تلو وصول اللفظ إلى سمعك وإذا كان على خلاف ما ينبغي، وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه، وإذا أفرط الأمر في ذلك صار إلى التعقيد الذي قالوا إنه يستهلك المعنى."

فالدلالة عنده تتوقف على تأليف كلامي انتظمت ألفاظه ومعانيه.

وتناول ابن جني مسائل مختلفة، يمكن إدراج كثير منها ضمن موضوعات علم الدلالة، ومن ذلك أنه كشف العلاقة بين الأصوات والمعاني، حيث ربط الصيغة الصرفية للكلمة بدلالتها، على نحو ما فعل الخليل وسيبويه قبله.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح ياسين الأيوبي، ط1، ص237.

يقول ابن جني في الجزء الأول من "الخصائص"إن الدلالة على القصد أكرم غايات اللغة وأقوى أهدافها، وفي موضوع ثان من الخصائص يبين الفرق بين الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية فيقول:" اعلم أن كل واحدة من هذه الدلائل معتد، مراعي، مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب:فأقواهن من"الدلالة اللفظية" ثم تليها"الصناعية" ثم تليها"المعنوية"فهذه دلائل من لفظه وصيغته ومعناه."[1]

وإنما كانت الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظا، فإنها صورة يحملها اللفظ ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزل بها.[2]

فابن جني يقسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام هي:لفظية، صناعية، ومعنوية ويفاضل بينهما جاعلا الدلالة اللفظية على رأس الدلالات الأخرى.

ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي:

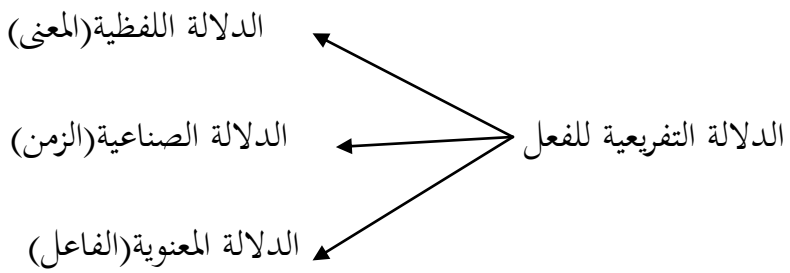

[1] طالب اسماعيل، مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2011، ص25.

[2] المرجع السابق، الصفحة السابقا.

1:**الدلالة اللفظية:** ويعني بها الدلالة المعجمية، وقد عدّها ابن جني على رأس الدلالات الثلاثة لأنها دلالة أساسية تعد جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية.

وما يجدر ذكره أن قيمة الدلالة الأساسية للصيغة الصرفية تعتبر المركز الذي يستقطب كل الدلالات المتفرعة عنه.

2:**الدلالة الصناعية:** هي دلالة بنية(اللفظ) وهي تلي الدلالة اللفظية يحمل صورة الحدث الدلالي المستغرق لحير زماني فالدلالة الصناعية مع أنها دلالة غير لفظية وإنما يستلزمها اللفظ في حكم الدلالة اللفظية التي هي صورة تلازم الفعل فالزمن يكون ملازما دائما للفعل.

3:**الدلالة المعنوية:** إن الفعل يحدد سمات فاعلة وذلك من جهة دلالية ويعرف ذلك بطرق الاستدلال، فيتحدد جنس الفاعل وعدده وحاله فعندما نسمع الفعل(ضرب) فقد عرفنا حدثه وزمانه ثم ننظر فيما بعد فنقول:هذا فعل ولا بدّ له من فاعل، فنبحث حينئذ إلى أن نعلم الفاعل من هو وما حاله من موضع آخر لا من وضع مسموع ضرب، ألا ترى أنه يصلح أن يكون فاعلا كل مذكر يصح منه الفعل مجملا غير مفصل.[1]

ويفهم من هذا الكلام أن ابن جني قد تفطن للفرق بين "الدلالة الصرفية" و"الدلالة المعجمية"، حين ميز بين الدلالتين "اللفظية"و"الصناعية".

في باب خصصه للفرق بين الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية حيث استعمل الأولى بمعنى قريب من الدلالة المعجمية في حين استخدم الثانية للنوع من نوعي الدلالة الصرفية وهي دلالة الصيغة.

[1] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي(الجزائر)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر2010، دط، ص211-213.

وفي الأخير نخلص إلى أن علماء العربية قد أسهموا إسهاما فعالا في الدراسات الدلالية حيث رسموا خطتها الأولية، وتركوا المشعل للأجيال اللاحقة لتقوم بتثميرها واتمامها ورفع بنائها.

2:الدلالة في الفكر الغربي القديم:

2-1:الدلالة عند الهنود:

لا يختلف اثنان أن الهنود كانوا سباقين من الناحية الزمنية إلى الاهتمام بمختلف قضايا اللغة سواء كانت من الناحية الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو النحوية أو الدلالية وغيرها، وقد ارتبطت دراساتهم بكتاب"الفيدا".

أ: نشأة اللغة: تطرق الهنود لموضوع نشأة اللغة وكيفية اكتسابها، فقد اختلفت الآراء في هذا الشأن بين من يقول إنها هبة ربانية، وبين من يقول إنها من اختراع الإنسان.

ب: العلاقة بين اللفظ والمعنى: تعددت الآراء حول هذا الموضوع فالباحثون الهنود منهم من صرح بأن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة قديمة وفطرية، شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان، ومنهم من يرى أن الصلة بين اللفظ والمعنى مجرد علاقة حادثة، ولكنها طبقا لإرادة إلهية.

ج:أنواع الدلالات للكلمة: لقد درس الهنود الأصناف المختلفة التي تشكل دلالات الكلمات وقسموها إلى أربعة أقسام هي:

1: قسم يدل على مدلول عام يتسم بصفة الشمول أو العموم أو الجنسية كقولنا :رجل.

2:قسم يدل على كيفية طويل، بدين، ذكي.

3:قسم يدل على حدث:جاء، دوّن، جعل وغيرها[1]

[1] :المرجع السابق،ص218.

4: قسم يدل على ذات نحو أسماء الأعلام كمحمد وصفية.[1]

فالهنود تناولوا شروح الألفاظ من خلال نشاطهم المعجمي الذي ارتبط أول الأمر بالنصوص المقدسة، ثم تحرر منها ليتناول ما يراه غامضا مستغلقا على الإفهام في مختلف النصوص.

2-2:الدلالة عند اليونان:

لقد اهتم اليونان أيضا بالدلالة، وربما كان اهتمامهم مشابها لاهتمام الهنود، لكن الذي يميزه هو أنه ظهر أكثر عند الفلاسفة وأهل المنطق، الذين اهتموا جميعا بعدة قضايا دلالية وتطرقوا لدراسة الألفاظ ودلالتها.

ولعلّ أبرز تلك المناقشات التي دار الحديث عنها بين الفلاسفة هي الفرق بين الصوت والمعنى، فقد تكلم أرسطو عن هذا الموضوع، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر وميز بين ثلاثة أمور هي:

-الأشياء في العالم الخارجي

-التصورات:المعاني

-الأصوات:الرموز والكلمات.[2]

فهو يرى أن الصلة بين اللفظ والمعنى اصطلاحية يتواضع عليها في مجتمع ما، أي ما تثيره هذه الألفاظ في الذهن هو ما تعارف عليه الناس.

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1985، ط1، ص18-19.

[2] أحمد مختار عمر، علم لدلالة، عالم الكتب ، القاهرة، ط1، 1985، ص17.

فالعلاقة بين الرمز اللغوي والمعنى حسب أرسطو هي علاقة عرفية، بحكم ما نجده في عالمنا من تغير مستمر، وأن ما يصيب الألفاظ، أو معانيها من تبدل ليس نتيجة لتأثير عنصر الزمن فيما هو طبيعي بالأصل بل إنه يحدث حال ما يتفق الناس على ذلك التغير.

أما أفلاطون فقد تطرق لموضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله في محاوراته عن أستاذه سقراط وإن كان يعتقد أن تلك العلاقة بدأ يكتنفها الغموض، وصعوبة الوقوف على سمة التبرير فيها بازدياد نماء الذخيرة اللغوية وكثرة مفرداتها، وتعرضها للتغيير المستمر، وهو تغيير قد يصيب اللفظ أو المعنى.[1]

ذلك أنه يدرك أن الصلة بين اللفظ ومدلوله قد تنقطع نتيجة لتطور أصوات اللغة، ولم يستطع إثبات هذه الصلة وذهب إلى القول بأن تلك الصلة الطبيعية تكون سهلة وواضحة المعالم من نشأة هذه الأصوات، ومع مرور الزمن تطورت الألفاظ، ولم يعد من السهل عليهم تفسير هذه الصلة وتعليلها.

فلهؤلاء إشارات يمكن عدّها ضمن موضوع علم الدلالة لوضوح الاهتمامات اللغوية عندهم وكذلك لتعدد مسائلها الدلالية.

[1] مجدي ابراهيم محمد ابراهيم، بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الاسكندرية ط1، 2014، ص23.

– الدلالة عند المحدثين:

1:الدلالة عند المحدثين العرب:

يعد ابراهيم أنيس من المؤلفين العرب الذين تصدروا هذا المجال بمؤلفه"دلالة الألفاظ" [1] والذي يعد أول كتاب وضع في اللغة العربية في علم الدلالة في سنة 1958 وقد طبع عدّة طبعات بعد ذلك.[2]

وقد قال فيه:د محمد المبارك"وهو كتاب جامع متنوع المباحث، ألم بما كتب قديما في اللغة العربية وما كتب حديثا في اللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية."[3]

فالدكتور "ابراهيم أنيس" من أوائل العرب الذين اهتموا بالبحث الدلالي، ووقف عنده وقفة متأنية، فكانت جهوده واضحة في هذا المجال، فخصه–كما ذكرنا سالفا– بكتابه:" دلالة الألفاظ"حيث تناول فيه جل ما يتعلق بموضوع علم الدلالة، ففي مقدمته، [4]أعطى نبذة سريعة عن دراسة الفلاسفة "لدلالة الألفاظ، ودراسة أصحاب علم النفس لها وتحدث عن مسلك اللغويين وتحدث في الفصل الأول [5] عن موضوع نشأة الكلام والمحاولات الأولى للاهتداء إلى هذه النشأة وتحدث عن آراء علماء العربية في النشأة اللغوية، وذكر أشهر النظريات في نشأة الكلام الإنساني لدى اللغويين الأوروبيين وأحدث ما توصل إليه اللغويين بصدد النشأة الكلامية.

---

[1] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبية، الكويت، ط1، 1982، ص29.

وينظر قضايا اللغة والنحو، عالم الكتب، القاهرة، 1974، ص10–11.

[2] ينظر محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار المعارف، القاهرة، دط،1963، ص158.

[3] المرجع نفسه، ن، ص.

[4] ينظر ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص1–12.

[5] المرجع السابق، ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص13–37.

ولم يأخذ بأي نظرية من هذه النظريات وعدّها جميعا مجرد افتراضات، إلا أن د.محمد حسين آل ياسين عدّ دفاعه عن نظرية محاكاة الأصوات الطبيعية وبسطها وتضعيف المطاعن الموجهة لها ميلا إليها. [1] أكثر من غيرها وهذا الاحتمال مستبعد، وتحدث في الفصل الثاني [2] عن الدلالة وأداتها وهي اللفظ وأنواعها وفهمها وأنواع الدلالات والفرق بين اللفظ والكلمة لدى النحاة الأوروبيين في حدود الكلمة الصوتية التي تميزها في الكلام المتصل وفي تعريف الكلمة.وفي الفصل الثالث[3] تحدث عن الصلة بين اللفظ ودلالته ونظرة فلاسفة اليونان واختلافهم بين الصلة الطبيعية والصلة العرقية، ونظرة العلماء العرب ورأي المحدثين الأوروبيين وقد انضم المؤلف إلى الرأي القائل بأن العلاقة بين اللفظ ومدلوله علاقة عرقية اصطلاحية ومع ذلك ، فقد اعترف بوجود مجموعة من الألفاظ في كل اللغات ترتبط ارتباطا وثيقا بمعانيها مثل:الحفيف والقهقهة والخرير وغير ذلك أما في الفصل الرابع [4] فوقف عند استيحاء الدلالة من الألفاظ، وما توحيه أصوات اللفظ المجهول الدلالة لذهن المرء بمعنى خاص يستنبط على أساس ما في الذهن من ألفاظ أخرى، وذكر أيضا بعض النتائج التي توصل إليها ميدانيا مع طلبة ليسانس بكلية دار العلوم وطلبة التوجيهية في إحدى المدارس الثانوية.

[1] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، إلى نهاية القرن الثالث الهجري، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1 1982، ص495.

[2] ينظر ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص38-61.

[3] المصدر نفسه ص62-74.

[4] المصدر نفسه، ص75-89.

وذكر في الفصل الخامس [1]، اكتساب الدلالة ونموها لدى الأطفال الكبار، وفي الفصل السادس[2]تحدث عن المركز والهامش في الدلالة ومعنى الدلالة المركزية المشتركة بين أفراد البيئة ومعنى الدلالة الهامشية ونشأتها مع التجارب المختلفة للأفراد أما الفصل السابع [3]فتحدث فيه عن تطور الدلالة ويرى أن ظاهرة التطور يدركها كل دارس للنصوص التاريخية في لغة من اللغات، وعدّ الحقيقة والمجاز مظهرا من مظاهر التطور الدلالي.وفي الفصل الثامن [4] تحدث عن عوامل التطور في الدلالة أرجعها إلى عنصرين هما:الاستعمال والحاجة، وتحدث في الفصل التاسع [5]، عن أغراض التطور الدلالي من تخصيص وتعميم وانحطاط ورقي للدلالة وتغيير مجال استعمالها.وفي الفصل العاشر[6]، تحدث عن أثر الدلالة في الترجمة وناقش فيه موضوع الترجمة فنّها وأسلوبها ومشكلاتها بطريقة علمية دقيقة، أما في الفصل الحادي عشر [7]، فتحدث عن نصيب الألفاظ العربية من الدلالة، أما في الفصل الأخير [8] فكانت له وقفة متأنية من كنوز الألفاظ العربية وهي المعاجم وتحدث عن اللغويين الذين أسهموا في نشأة المعاجم وصنفهم إلى طبقات أربع، وذكر أشهر المعاجم العربية، ولأهمية هذا الكتاب في الدراسات الدلالية وما لقيه من اهتمام وتقدير في

[1] المصدر نفسه، ص95-105.

[2] المصدر السابق، ص106-121.

[3] ينظر ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص122-133.

[4] ينظر المصدر السابق، ص134-151.

[5] ينظر المصدر السابق، ص152-167.

[6] ينظر المصدر السابق، ص168-186.

[7] ينظر المصدر السابق، ص187-224.

[8] ينظر المصدر السابق، ص225-251.

الأوساط العلمية نال به مؤلفه جائزة الدولة التشجيعية للأدب عام 1958 في جمهورية مصر العربية.[1]

وإن معظم الباحثين المحدثين العرب الذين تناولوا علم الدلالة قد تأثروا بهذا الكتاب ونهجوا نهجه في التبويب ونهلوا من فصوله وموضوعاته حتى لم تخل كتبهم من ذكره.[2]

ومن اللغويين المحدثين الذين تناولوا كذلك علم الدلالة بالدراسة د.أحمد مختار عمر، والذي ألّف كتابا بعنوان"علم الدلالة"ويستفاد فيه مؤلفه مما جدّ من نظريات وقدم للقارئ العربي دراسة علمية للمعنى بمفهومه اللغوي.

إذ تناول فيه جلّ ما يتعلق بموضوع علم الدلالة، ومن الأمور التي ذكرها ولم يشر إليها د.أنيس مناهج ونظريات دراسة المعنى فتحدث عن النظرية الإشارية[3]

والنظرية السلوكية[4]، ونظرية السياق[5]، ونظرية الحقول الدلالية[6]، والنظرية التحليلية.[7]

وممن تناول علم الدلالة كذلك فايز الداية"علم الدلالة العربي" [8] وأحمد نعيم الكراعين صاحب كتاب"علم الدلالة بين النظرية والتطبيق."

---

[1] ينظر أحمد مختار عمر، من قضايا اللغة والنحو، عالم الكتب، القاهرة، 1974، ص10.

[2] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1982، ص15-29.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص54-58.

[4] ينظر المرجع السابق، ص59-67.

[5] ينظر المرجع السابق، ص68-78.

[6] ينظر المرجع السابق، ص79-113.

[7] ينظر المرجع السابق، ص114-138.

[8] فايز الداية، علم الدلالة العربي.

2:الدلالة عند المحدثين الغرب:

أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى قامت على يد اللغوي الفرنسي ميشل بريل

Michel Breel الذي كتب بحثا بعنوان مقالة في السيمانتيك Exal desemantique واعتنى فيه بدلالات الألفاظ في اللغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهندية الأوروبية مثل اليونانية واللاتينية والسنسكريتية، وخلص من بحثه هذا إلى نتائج مهمة، وعد بحثه هذا في حينه ثورة في دراسة علم اللغة.[1]

ثم أخذ يظهر اتجاه جديد في دراسة اللغة وذلك على يد اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand deusau sure ذلك هو الاتجاه الوصفي في دراسة معاني الكلمات ودلالتها وقد فرق سوسير بين الكلام واللغة ولم يهمل سوسير الجانب السياقي فهو يقول:"أن قيمة أي اصطلاح تتحدد تبعا للمحيط الذي تذكر فيه."[2]

ثم تبعه في ذلك فندريس Vendryesفي كتابه Language ثم يصل الاتجاه الاجتماعي أو المدرسة السياقية Context of situation أوجه على يد اللغوي الانجليزي"فيرث"، فإنه لا يعتبر أي وجود للمعنى خارج السياق، فنراه يقول:" أن الوحدات الحقيقية للغة ليس الأصوات ولا طريقة الكتابة أو المعاني ولكنها العلاقات التي تمثلها هذه الأصوات والأساليب والمعاني، أنها العلاقات المتبادلة أو المشتركة داخل السلسلة الكلامية والصيغ الصرفية والنحوية."[3]

[1] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1982، ص132-249.

[2] ينظر كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1958، ص279-280.

[3] ينظر المرجع السابق، ن، ص.

ثم يبرز "بلومفيد" Bloomfield" الذي يعتبر اللغة سلوكا، ولم يهتم إلا بالشكل الخارجي لها فالمعنى عنده مثير واستجابة، وقد رأى "بلومفيد" أن دراسة المعنى أضعف نقطة في الدراسة اللغوية وستبقى كذلك حتى تتقدم المعرفة الإنسانية تقدما أبعد من وضعها الراهن.[1]

ولم يكن للمعنى في المدارس البنيوية التي تلت بلومفيد حظ أوفر من السابق فقد انصرف اللغويون إلى دراسة التراكيب والعلاقات التي تربط مكونات الجمل ربطا يؤدي إلى معايير السلامة التركيبية التي فرضتها القواعد الضمنية الكامنة، ولم يشر تشومسكي إلى المكون الدلالي في منهجه التركيبي، لاعتقاده بضعف قدرة المعيار الدلالي على تحديد ما هو نحوي وما هو غير نحوي.

ويواكب"تطور الجانب الدلالي تطورا لنظرية التوليدية التحويلية، فتولى اللغويان كاتز katz وفودر fodor، 1963، تطوير نظرية تحليلية تقوم بتحليل معاني الكلمات تحليلا يظهر عناصرها الأولية، وكانت هذه النظرية أساسا للنظر الدلالي التركيبي في النحو التوليدي التحويلي."[2]

ولكنها، ومع ذلك، لم تربط التركيب بالدلالة ربطا عضويا متكاملا، وهي قضية تنبه إليها تشومسكي عندما طور نظريته 1965 بتطوير القواعد التي تتحول في ضوئها البنى العميقة إلى السطحية في هدي المعنى.[3]

واتخذ الاهتمام بالمعنى صورا ومناهج متباينة انطلقت من النظريات المختلفة التي تبناها اللغويون في السنوات المتعاقبة ومن ذلك النظرية الإشارية ونظرية العلامة عند ريتشارد وأوجدن

[1] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1982، ص24-25.

[2] فارس عيسى، ملامح النظر النحوي الكوفي في ضوء القواعد التوليدية والتحويلية، رسالة دكتوراه، إشراف رمضان عبد التواب، جامعة عين شمس، مصر، القاهرة، ص313-314.

[3] المرجع السابق، ص314.

والنظرية السلوكية عند بلومفيد، ونظرية السياق الذي يمثلها فيرث والتي مال إليها كثيرا ابراهيم أنيس ونظرية الحقول الدلالية، والنظرية التحليلية.[1]

وذكر أحمد مختار عمر العديد من المؤلفات المهمة في علم الدلالة ومنها نذكر كتاب"دور الكلمة في اللغة"ل:ستيفن أولمان وقد ترجمته إلى العربية د.كمال محمد بشر. وظهر سنة 1977 كتاب جليل الأثر في علم الدلالة وهو كتاب"علم الدلالة"ل:صاحبه"جون لاينز" J.layons:ويعد هذا الكتاب من أهم ما كتب في الدلالة حتى الآن، ويقع في جزأين وبلغ نحو تسعمائة صفحة.[2]

[1] ينظر د.أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، مؤسسة الجامعة للدراسات، بيروت، ط1، 1993 ص90-91.

[2] ينظر أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 1982، ص28-29.

المبحث الثاني:مفهوم الوظيفة، اللسانيات الوظيفية

-مفهوم الوظيفة لغة واصطلاحا

1:الوظيفة لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور(ت 771هـ)الوظيفة من:"وظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفا ألزمها إياه، وجاء يظفه أي يتبعه، ويقال وظف فلان إذ تبعه"[1]

وفي مختار الصحاح جاء معناها في اعتبار الإلحاق والإتباع معنى من معاني كلمة الوظيفة. [2]

وأما ابن دريد فقد اعتبر مادة"وظف" أصلا"معملا". [3]

ومنه فمعنى الوظيفة يتأسس على المعنيين اللذين ذكرهما أو اختارهما ابن منظور، اعتبارها وصفا ظاهرا لكل شيء يؤدي دورا محددا في مجال من المجالات وكون ذلك الوصف تابعا للشيء الموصوف بحيث كلما توصلنا إلى تحديد خصائص الشيء عرفنا وظيفته.

2: الوظيفة اصطلاحا:

وفيما يخص معناها الاصطلاحي فقد جاء في التعريف اللساني لكلمة Fonctionفي القاموس الفرنسي Le petit larousse أنها الدور الذي تقوم به كلمة أو مجموعة الكلمات في التركيب جملة."[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة(و.ظ.ف)، ص329.

[2] الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، دط،2003، ص342.

[3] ابن دريد، الجمهرة، تح ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005، ص305.

[4] Le petit larousse role syntxique d'hnmot ou d'un groupe de mots dans une phrase.p448.

-اللسانيات الوظيفية:

إن الوظيفة حولت وجهة البحث من موضوع المعرفة، المتمثل في اعتبار اللغة تراكيب ودلالات إلى فاعل المعرفة المتمثل في اعتبار اللغة خطابا وانجازا.

بدايات المنحى الوظيفي:

1: مدرسة براغ:وهي تركز على دراسة وظائف اللغة وقد اتخذ هذا الاتجاه وجهين:

أولهما:وظيفة اللغة في التواصل

ثانيهما:الوظائف التي تؤديها مستويات اللغة.

والجملة عندهم تتكون من قسمين:

مسند ومسند إليه، ويتقدم المسند غالبا على المسند إليه وهو النسق الذي تأتي فيه الجملة على الأصل.[1]

ويتغير هذا النسق بقصد العناية والاهتمام أو بهدف التركيز على عنصر معين بالتقديم والتأخير في عناصر الجملة نحو قولك:

-وصل الوفد الطلابي العربي إلى الجزائر

مسند مسند إليه

[1] ينظر عبد الحميد السيد دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2003 ص140.

-الوفد الطلابي العربي وصل إلى الجزائر[1]

مسند إليه مسند

ومفهوم المسند والمسند إليه استعمل هنا باعتبار عنصر المعلومات.

والجملة في هذا المفهوم تتكون من المسند ويعبر عن أقل درجة في الرسالة اللغوية والمسند إليه يشكل المعلومة الجديدة فيها.

فتصورات براغ كانت منصبة على الكيفية التي تزود بها اللغة المتكلم بعدد من الأساليب المناسبة لظروف مقامية مختلفة.

2: المدرسة الفيرثية:

وقد ركزت هذه المدرسة على سياق الحال، وهذا الأخير يعني عندهم مجموعة من العناصر المكونة للموقف الكلامي والجملة تكتسب دلالتها من ملابسات الأحداث، وسياقاتها وهذه الأهمية للسياق ألح عليها هاليدي Halliday المؤسس الثاني لهذه المدرسة بعد فيرث، الذي اكتملت على يديه أسس النحو النظامي ويركز هذا النحو على الجانب الوظيفي للغة، ويجعل همه تصنيف الوظائف نظام بين استعمالاتها.[2]

من ذلك باب"التعدي واللزوم"نحو:

-شرح المعلم الدرس

حدث عامل هدف تجاوز إليه

[1] ينظر عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص140-141.

[2] ينظر عبد الحميد السيد، المرجع السابق، ص141.

-مرض عميد الكلية

حدث متقبل نشاط قاصر

هذه أهم التصورات التي طرحتها كل من مدرسة براغ والمدرسة الفيرثية.

وأما في السبعينات نشط الاتجاه الوظيفي على يدي وظيفتيين جدد يتوسعون في هذا المنحى فجاء النحو الوظيفي الذي اقترحه"سيمون ديك" في السنوات الأخيرة فتشمل بنية النحو كما يقترحها النحو الوظيفي على مستويات تمثيلية ثلاثة:

- مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية:وهما وظيفتان:الفاعل والمفعول.
- مستوى لتمثيل الوظائف التداولية:كوظيفة المبتدأ ووظيفة المحور، وقد قدم" فان ديك" في نموذجه أربع وظائف تداولية."[1]
- المبتدأ thème:وهو عند(ديك) مايحدد مجال الخطاب.
- الذيل:Tail:يحمل معلومة توضح معلومة داخل الجملة أو تعدلها.
- المحور:Topic:هو المحدث عند داخل الجملة.
- البؤرة:Focus:وهو المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو بروزا في الجملة.

وخلاصة القول أن النحو الوظيفي هو النحو الذي يراعي معايير انجاز الكلام في طبقات مقامية معينة، فالبعد التداولي عماد النظر في وصف اللغة وتفسيرها.

[1] ينظر عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ص144-146.

المبحث الثالث:علاقة الدلالة بالوظيفة:

إن التواصل الذي هو غاية اللغة لا يمكن أن يتأدّى بالمفردات وحدها وإن حملت الدلالة المعجمية والصرفية معا، لأنها تعبر فقط عن معنى مفرد، وهو غير كاف لإقامة التواصل وإنما يكون تحديد المعنى الافرادي من أجل الحديث عنه أو به عن غيره وهو ما لا يكون إلا بإسناد كلمة أخرى الذي يعطي كلاما صالحا لأداء التواصل وهو لا يكون إلا بين اسمين أو اسم وفعل إذ بهما فقط تتحقق الإفادة التي هي شرط الكلام، وإذا كانت الكلمات تتكون من تجمع الوحدات الصوتية بغير نظام معين.[1]

فإن تشكل الجمل من المفردات يحكمه نظام وتضبطه قوانين تختلف باختلافها دلالات التراكيب والجمل، وهذا هو موضوع علم النحو أو التراكيب، قال الجرجاني:"إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف ما بينها من فوائد" [2] ومن البديهي القول بأن علم الدلالة يلتقي مع علم النحو في هذه المساحة الدلالية إذ أن المعاني النحوية هي المقصودة في التواصل.

ومن الدلالة التركيبية البحث في وظائف الكلمة في التركيب والفرق بين دلالات التراكيب المختلفة كالفرق بين التعبير بالجملة الاسمية، والتعبير بالجملة الفعلية والأساليب المختلفة والمعنى الذي هو غاية علم الدلالة يستفاد من النظر في إسناد المفردات بعضها إلى بعض، قال الجرجاني:"...ومعلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضه ببعض وجعل بعضها بسبب من

[1] ينظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص353.

[2] ينظر المرجع السابق، ن، ص.

بعض والكلم ثلاث اسم وفعل وحرف، وللتعليق في ما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام:اسم باسم، وتعليق اسم بفعل، وتعليق حرف بهما."[1]

ومن النظر في تعليق المعاني الإفرادية بعضها ببعض والوظائف النحوية(الأبواب النحوية)التي تؤديها كل كلمة تتحصل الدلالة النحوية.

ويقول الجرجاني:" ليت شعري كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون كلمة أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى ومعنى القصد إلى معاني الكلم أن تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها فلا تقول"خرج زيد" لتعلمه معنى خرج في اللغة ومعنى زيد، كيف ومحال أن تكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف، ولهذا لم يكن الفعل وحده دون الاسم، ولا اسم وحده دون اسم آخر أو فعلا كلاما، أو كنت لو قلت:زيد، ولم تأت بفعل ولا باسم ولا قدرت فيه ضمير الشأن، أو قلت زيد ولم تأت بفعل ولا اسم آخر، ولم تضمره في نفسك، كان ذلك وصوتا تصوته سواء فاعرفه."[2] وقال كذلك:" اعلم أن واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيبها بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة، وذلك أنك إذا قلت:ضرب زيدا عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم واحد هو معنى واحد لا عدة معاني كما يتوهمه الناس، وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها، إنما جئت بها لتفيد وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه أو الأحكام التي هي محصول التعلق."[3]

---

[1] ينظر المرجع السابق، ن، ص.

[2] ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص372.

[3] ينظر المرجع السابق، ن، ص.

ولعل الدلالة التركيبية الأكثر حضورا أو الأوفر حظا في الدرس اللغوي العربي برمته لأهميته من جهة ولاشتغال اللغويين بالدرس النحوي أكثر من باقي المباحث، كما أن اللحن الذي كان الباعث الأول لقيام الدراسات اللغوية كلّها إنما كان في الحركة الإعرابية اظهر من مستوى آخر.

الفصل الثالث:علاقة السياق بالدرس التداولي وبالتأويل

المبحث الأول:علاقة التداولية بالسياق

المبحث الثاني:مفهوم التأويل

المبحث الثالث:علاقة السياق بالتداولية وبالتأويل

الفصل الثالث: علاقة السياق بالدرس التداولي وبالتأويل:

المبحث الأول:علاقة التداولية بالسياق

لقد مرت التداولية بمراحل متباينة في محاولة لتأسيس أو لتحديد مجال مفهومها وذلك على اعتبار أنها تلامس أكثر الحقول اللغوية وتشتغل في مساحة التواصل اللغوي من منطلق قيمة السياق الكلامي في تحديد وتداول المعنى وضمان حدّ ما لتواصله فكيفية استعمال اللغة في الاتصال كان هم الدرس التداولي، ويمكن موضوع التداولية إضافة سياق الاستعمال للدلالة فيمكن أن يكون موضوع التداولية هو نفسه موضوع الدلالة الثابت بإضافة سياق الاستعمال contexte.

مفهوم التداولية:

1:التداولية لغة:

يرجع مصطلح التداولية إلى الجذر اللغوي(دول) وقد جاء في"لسان العرب" لابن منظور:الدُّولة والدَّولة:العُقبَة في المال والحرب سواء، وقيل الدّولة بالضم في المال، والدّولة بالفتح في الحرب، أن تدل إحدى الفئتين على الأخرى، يقال:كانت عليهم الدّولة والجمع الدَّول والدُّولة بالضم في المال، اسم الشيء الذي يتداوله وفي حديث الدعاء :حدثني حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودالت الأيام أي درات والله يداولها بين الناس وقولهم:دواليك أي تداولا بعد تداول والدَّول:النبل المتداول عن ابن الأعربي:أشد:يلوذ بالجود من النبل الدَّول.[1]

[1] محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد11، دار صادر، بيروت، لبنان ط1، 1955/1374، ص252-253.

وجاء في معجم الوسيط:"تداولت الأيدي الشيء أخذته هذه مرة وهذه مرة، ويقال تداول الأمر."[1]

وورد في مقاييس اللغة:"الدال والواو واللام أصلا:أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء أما الأول فقال أهل اللغة:أندال القوم، إذ تحولوا من مكان إلى آخر ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم أي صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان، ويقال: بل الدَّولة في المال والدُّولة في الحرب...بذلك من قياس الباب لأنه أمر يداولونه فيتحول من هذا إلى ذلك ومن ذلك إلى هذا، وأما الأصل الآخر فالدّولة بل من النبت ما يبس لعامه:فقال أبو زيد:دال الثوب يدول، إذا بلى، وقد جعله ودّه يدول:أي يبلى ومن هذا الباب اندال بطنه، أي استرخى."[2]

ومن خلال هذا نستنتج أن التداولية تعني وتهتم باللغة أو الخطاب، وهذا الأخير الذي يشكل موضوع يسمح للأفراد بتداول وتناقل مختلف الأحداث والمعارف والمعلومات فيما بينهم.

2:التداولية اصطلاحا:

من الناحية الاصطلاحية نجد أن هناك اختلافا بين العلماء في تحديد هذا المفهوم وينعدم وجود تعريف دقيق ومحدد ومتفق عليه من طرف العلماء نظرًا لتعدد حقولها المعرفية التي استقت منها التداولية نذكر بعضها:

يعرفها مسعود صحراوي بقوله:" هو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفية استخدام العلامات اللغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة

[1] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2004، ص304.

[2] أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دط، 1979/1399 دار الفكر، ص314-315.

التي ينجز ضمنها "الخطاب" والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة والبحث عن أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية...إلخ"[1]

وهو يشير إلى قضية أساسية في التداولية وهي تعدد وتشعب اتجاهاتها.

ويعرفها كل من ماري دييرMarie diller وفرنسوا ريكاناتي Recansti François وهو أن :"التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شهادة في ذلك على مقدرتها الخطابية."[2]

ونستخلص من التعريفين:أن التداولية:هي دراسة اللغة في الاستعمال والتواصل، في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية، أو هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها، ونفهمها، ونقصد بها ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم ولنأخذ كلمة(شكرا)مثالا، فهي تحمل معان كثيرة كالعرفان بالإحسان وغيره، ولكن في الاستعمال تتجاوز حدودها المعجمية، فربما يقصد بها المتكلم التهكم أو الضيق.

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1 بيروت، لبنان، 2005، دار الطليعة ، ص15.

[2] فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1997 ص08.

المطلب الثاني:العناصر التداولية للتواصل:

أ–المرسل:هو"فاعل الكلام" أو هو المصدر الذي يقوم بإرسال الخطاب وشرحه وهو الذي يلعب دور المسهل والمسير ولنجاح عملية التواصل ينبغي أن تتوفر فيه جملة من الشروط يتبعها في بناء خطابه لتحقيق الغرض الذي يقصده في موقف تواصلي معين إلى متلق وهذه الشروط هي:

- امتلاك الكفاية التواصلية: تعد الكفاية التواصلية من أهم عوامل نجاح التواصل وهي:"قدرة المتكلم على معرفة وكيف يستعمل اللغة، ومعرفة ما يجب قوله في ظروف معينة ومتى يجب عليه السكوت ومتى يجب عليه الكلام، إنها المعارف التي تزداد على الكفاية اللغوية الصرفية المتمثلة في ثراء الرصيد المعجمي عند مستعمل اللغة وتمكنه من قواعد لغته والسيطرة على المعاني ووضوح خطابه."[1]

ومن شروط امتلاكها:

أ) استحضار المعاني وألفاظها في الذهن ولصناعة الكلام يجب إتباع الخطوات التالية:

- استحضار المعاني المراد إنشاء الخطاب في الذهن
- اختيار الألفاظ المناسبة للمعاني التي تم استحضارها في الذهن.
- اختيار الوقت المناسب لبناء الخطاب حين يكون في قمة نشاطه.

ب)اختيار اللفظ المناسب للمعنى:

-على المرسل أن يختار اللفظ الملائم للقصد من المعاني

-أن يكون سهل المخارج

[1] هادي نهر، الكفايات التواصلية والاتصالية، دراسة في اللغة والإعلام، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن ط1، 2003، ص89.

-موازنة أقدار المعاني بأقدار المستمعين

-موازنة أقدار المعاني بأقدار الحالات.

-معرفة المقامات والتفريق بينهما، واختيار المعاني والألفاظ حسب المقام لأنه يستحضر السامع في كل عملية تواصلية ولو بصورة ذهنية، أي يحقق القصد المراد إيصاله للمتلقي.[1]

ب)المتلقي: هو المستقبل لرسالة المرسل، ويفك رموزها ويعي دلالتها ويتفاعل معها، فإذا كان المرسل هو منشئ الخطاب ومنتجه، ويجعل له خصائص تميزه عن غيره، فإن المتلقي(المرسل إليه) هو من ينشأ له الخطاب ومن أجله، وهو مشارك في إنتاج الخطاب مشاركة فعالة وإن لم تكن مباشرة ولنجاح العملية التواصلية ينبغي أن يتوفر فيه مايلي:

1:امتلاك المهارة اللغوية والقدرة على التحليل والتركيب ورؤية العلاقات بين الأشياء.

2:حسن الاستماع: جاء في كتاب الصناعتين :"وإن المخاطب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي إليه الخطاب."

الخطاب:

هو مدار التفاعل بين المرسل والمتلقي ونتاج التفاعل بينهما، وهو المحتوى الفكري المعرفي الجمالي الذي يرغب المرسل في إيصاله إلى المستقبل، حيث يتجلى التواصل وفق أشكال وصور مختلفة، ومرد ذلك إلى المقام الذي يكون فيه المرسل ونوعية المستقبل لهذا الخطاب والظروف المحيطة به، ومن ثمة يتحدد الخطاب فقد يكون كلمة، وقد يكون إشارة ومن مميزاته أنه كما يحمل الخصائص التمييزية للمتكلم فهو ينبئ بطبيعة السامع الذي أنشئ من أجله ومن شروط بنائه ما يلي:

[1] أنطوان صياح، تعليمة اللغة العربية، ج1، ص45.

-مراعاة أحوال المخاطب

-عدم التناقض في القول

-الدقة في التعبير

-البناء المحكم

-الحجاج والبرهنة

-استخدام الوسيلة المناسبة لنقله.[1]

القناة:

هي الوسيلة التي تنتقل فيها إشارات النظام أثناء عملية التواصل وهي التي بموجبها تتحدد نوعية الرسائل الموجهة للمتلقي، وقد صنفت إلى صنفين اثنين أولهما مجموعة من الوسائل لنقل إشارة من مكان إرسالها إلى مكان استقبالها والوسائل المادية للإشارة ولأجل تواصل سليم يشترط فيها انسجام شكلها مع مضمونه.

المقام:

يعتبر المقام من أهم العناصر التواصلية إذ تحدث فيه أدوار العناصر التواصلية السابقة وتربط به ارتباطا وثيق لأجل نجاح العملية التواصلية، فمراعاة المقام بالنسبة للمرسل عون له على الإنتاج الجيد لخطابه، كما أن معرفة المستقبل هذا المقام التواصلي عون له على التأويل الجيد للخطاب والوصول إلى ما قصده المتكلم"لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية وكذا مقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير

[1] المرجع السابق،ص18

مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار..."[1]

-المقام نوعان:

- مقام خارجي متعلق من حيث طبقته العلمية والفكرية والاجتماعية وردود أفعاله وتشمل الرفض والقبول، وسيلة الاتصال التي المشافهة أو المكاتبة، السياق العام طبيعة الموضوع قد تكون سياسية، اجتماعية، أو غير ذلك، على أن يراعى فيها المتلقي.
- مقام داخلي، متعلق بالمرسل من حيث مقاصده التي يريد إبلاغها للمتلقي.[2]

المبحث الثاني: مفهوم التأويل:

مما لاشك فيه أن تحليل الخطاب بالضرورة هو تحليل للغة في الاستعمال، ولأن الخطاب ينقسم إلى معنى ظاهر ومعنى خفي، فألزمت الضرورة العلماء الاهتمام بهذا الجانب للوصول إلى قصد المتكلم أو المخاطب من خلال ظاهرة التأويل، والتي نالت للاهتمام الواسع من طرف علماء اللغة وذلك لأن الخطاب هو ملاذ كل مخاطب والذي يصب فيه أفكاره ورؤاه في أبعاده المختلفة:الثقافية والاجتماعية، ولا يتم ذلك إلا بمحاولة لفك الرموز التي تنغلق على ذاتها، وتتبلع مفاتيحها، ومع هذا الانغلاق تغيب ذات المخاطِب لتظهر ذات المخاطَب الذي توكل له مهمة الإبحار عبر عوالم هذا الخطاب وكسر أقفاله، ومحاولة الولوج إلى أعماقه بما يسمى التأويل والذي يؤول إلى بيان المعنى والقصد من مراد المخاطب، وهذا لا يتم إلا من خلال معرفة السياق.

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص168.

[2] ينظر جميل عبد الحميد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، مصر، 2000، ص132-133-134-135.

أولا:تعريف التأويل لغة:

كلمة تأويل لغة جاءت بمعنى الرجوع، مصدره:"أول الرجوع إلى الشيء يؤول أولا ومآلا:رجع وأول إليه الشيء رجعه، آلت عن الشيء:ارتددت."[1]

فالدلالة التي تحملها كلمة"التأويل" هي الرجوع والتغيير، بالإضافة إلى معنى التفسير التي نجدها عند علماء التفسير بمعنى واحد، وهذا ما ذكره أبو العباس أحمد بن يحي حينما سئل عن التأويل فقال:"التأويل والمعنى والتفسير واحد."[2]

ثانيا:اصطلاحا:

عرفه الغزالي(450هـ/505هـ)الذي يعد من بين الأوائل الذين شغل التأويل فكرهم بقوله:" التأويل عبارة عن احتمال بعضده دليل يصير به أغلب على الظن من الحقيقة إلى المجاز."[3]فالتأويل عنده لا يكون، إلا من خلال اللفظ فما فوق لأن اللفظ الواحد قد يحمل دلالتين حيث يرجح القصد المحتمل المرجوح مثال ذلك" زيد كالأسد"فإنه ظاهر في الحيوان المفترس والمحتمل أن زيد رجل شجاع وليس الافتراس.

أما التأويل عند ابن رشد(1126م-1198م) فهي:"إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب في التجوز، ومن تسمية

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار العرب، بيروت، لبنان، ج1، ج1، ص 130.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص131.

[3] أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، تح حمزة بن زهير حافظ، المدينة المنورة، دط، ج3، ص156.

الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنة، أو غير ذلك من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي."[1]

وهو يقصد أن نخرج اللفظ من دلالته الحقيقية إلى الدلالة المجازية، وبالتالي فالتأويل عند التراثيين وبخاصة علماء الأصول ارتبط بالمجاز مثلها هو عند الفلاسفة من أمثال ابن رشد وهنا نجد إشارة كل من الغزالي وابن رشد إلى ضرورة العلم بالوضع اللساني العربي، وكما أن الاعتقاد هو السبيل إلى التصديق بما جاء في الخطاب القرآني حيث يقول:"إذا لم يكن أهل العلم يعلمون التأويل لم يكن عندهم مزية تصديق توجب الإيمان به كما جاء في قوله تعالى:" ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ "2_[2]

[1] أبو نصر حامد أبو زيد الخطاب والتأويل، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، بيروت، لبنان، ط1 2000، ص 64.

[2] سورة آل عمران الآية 3-7.

2 ابن رشد، فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تح محمد عمارة، دار المعارف القاهرة، دط، 1972 ص43.

المبحث الثالث: علاقة السياق بالتداولية وبالتأويل:

-التقاطعات الإجرائية بين السياق والتداولية:

يأخذ مفهوم السياق في التحليل التداولي بعد أعمق من اللسانيات الاجتماعية، فهو أحد أهم مرتكزات اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء استعمالها، إنه أداة إجرائية يتميز بها التنظير اللساني التداولي على مستوى اللغة، وعلى مستوى السياق الاجتماعي والثقافي والنفسي حيث يقسم الدارسون التداولية إلى ثلاث درجات تتحدد كل درجة على أساس تشغيلها للسياق فتداولية الدرجة الثالثة مثلا تتعلق بتطبيقات أفعال الكلام في سياقها اللغوي وتشتغل على توظيف السياق بعمق في تحليلاتها [1] حيث يؤدي السياق وظيفة رئيسية في كشف مقاصد المتكلم الظاهرة والخفية، وهو ما يجعل من السياق انتشارا في مجالات معرفية متعددة، فهو يتوزع"عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان وغيرها."[2]

ويمكن القول بأن التداولية هي علم الاستعمال اللغوي ضمن السياق أو طرائق استعمال العلامات ضمن سياق ما، يمكن أن تسمى أيضا بالسياقية كما هي عند"ماكس بلاك Max black، وأن مفهوم السياق في التنظير التداولي يتجاوز الاصطلاح إلى الإجراء العلمي، حيث أن السياق كما يرى علي آيت أوشان في تحليله للمفهوم عند الباحثة فرانسواز أرمينكو مفهوم مركزي يمتلك طابعه التداولي لا نعلم حدود بدايته ونهايته، اتساعه يجعلنا نعبر من درجة تداولية

[1] ينظر علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، دت، ص59.

[2] المرجع نفسه، -ص16-17.

إلى أخرى فهو إما:

- **سياق ظرفي فعلي وجودي مرجعي:** وهو المحدد لانتماء المتخاطبين وهو آياتهم وبيئتهم المكانية والزمانية، وهو يحدد مفهوم التداولية عند بارهيل ومونتاك:بأنها السياق وما يجمعه من أفراد موجودين في العالم الواقعي.
- **سياق مقامي تداولي:** وهو ما تفهمه الجماعة المنتمية إلى نفس الثقافة على أنها ممارسة خطابية.
- **سياق تفاعلي:** ويقصد به تسلسل أفعال اللغة في مقطع متداخل للخطابات.
- **سياق اقتضائي:** وهو الاقتضاءات التي يحدث بها المتلقون للخطاب من اعتقادات وانتظارات ومقاصد.[1]

ويمكن أن نجمل هذه الأقسام في صنفين هما: السياق اللغوي وغير اللغوي، أو كما قسمه اللغوي"فيرث" إلى السياق اللغوي:ويتمثل في العلاقات الصوتية والفونولوجية والمرفولوجية والنحوية والدلالية، وإلى سياق الحال: ويمثله العالم الخارج عن اللغة بما له صلة بالحديث اللغوي ويتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئية والنفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام.[2]

وهكذا يكون السياق اللغوي هو مجموع العناصر اللغوية التي تحيط بجزء من الملفوظ ويكون السياق غير اللغوي هو مجموع المقتضيات غير التي يتحدد بمقتضاها الملفوظ على أنه رسالة في زمان ومكان محددين، وهذه العوامل تتصل بالمخاطب وظروف الخطاب المختلفة.

ونجد صاحب"السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة" وفي إطار التداولية وإجراءاتها السياقية، يتحدث عن أفعال الكلام وعلاقتها الكبيرة بالسياق ، فنجد معه أن السياق يعضد

[1] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، دت، ص60-61.

[2] ينظر حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1996، ص135.

أفعال الكلام في أي خطاب، حيث"يغير كل فعل كلامي لغة السياق، إذ تكلف المسألة المخاطب مثلا الجواب، وهذا ما يستدعي الاعتراض، ويؤثر السياق في عرض القول بتعديله لأن السياق هو أثر أفعال اللغة السابقة، وبسب أفعال اللغة اللاحقة" [1]، فيتضح أن علاقة السياق بأفعال الكلام هي علاقة سبب بمسبب أو مسبب بسب، فيؤثر كل فعل كلامي في السياق ويؤثر السياق في تعديل القول.

لأفعال الكلام "قوة" وكذلك لكل فعل كلام لازم فعل الكلام، وكلاهما يستلزم الاتفاق والتواضع[2](السياق)، حيث لا قيمة للمفردات أو لأفعال الكلام بعيدة عن سياقها، وينتج عن هذا دراسة أفعال الكلام التي يوجهها المتكلم داخل السياق وفي إطار البيئة المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب.

وتفصيل ذلك، أن في كل خطاب يوجد على الأقل شخصان أحدهما فاعل حقيقي أو متحدث مبلغ لرسالة ما، والآخر فاعل من جهة الإمكان مستمع منصت، وهما فاعلان ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية واحدة، أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة، تتفق في ضروب القيام بالفعل المشترك الانجازي، وطوال مدة معينة من الوقت فإن نشاط عضوين (فأكثر) من الجماعة قد تتسق وتنتظم على معنى المتكلم ينتج عبارة أو ربما ليس ذلك فحسب، وإنما يصير فاعلا وينجز عددا من الأفعال الانجازية، وهذا التوصيف لبديهيات الموقف التواصلي يفترض إعادة بناء وتركيب خاصياته في إطار البناء السياقي للخطاب.

[1] علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، دت، ص62.

[2] ينظر جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالأفعال ، تر عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق المغرب، ص127.

إذ تكون الخاصية الأولى للسياق هي المنيرة الديناميكية المحركة، فليس السياق مجرد حالة لفظ وإنما هو على الأقل متوالية من أحوال وهيئات اللفظ، حيث توجد مجموعة لا متناهية من السياقات الممكنة التي يستطيع أحدنا أن يكون له فيها أوضاع مخصوصة، أو هي حالة السياق الواقعي[1] ويتحدد السياق الواقعي بفترة من الزمان والمكان، بحيث تتحقق النشاطات لكل من المتكلم والمخاطب.

وهكذا، فإن السياق في التداولية يجب أن يتوفر فيه متكلم ومستمع واحد على الأقل خطاب أو وحدات لغوية قد تتضمن أفعال كلام، ثم تنزل هذا الخطاب في زمان ومكان معينين على أن تكون هذه الوحدات اللغوية حاملة لمعان محددة، ومن ثمة تصبح أسئلة تداولية:من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟كيف نتكلم وماذا نقصد؟أسئلة تبحث عن إجابات سياقية، ويصبح السياق محور التداولية.

وتعمل المعرفة المشتركة Mutual knowledge أو الأرضية المشتركة Common groundأو العلاقات الرابطة بين المتكلم والمتلقي دورا في بناء سياق الخطاب، لوجود خصائص جامعة في أطراف الحوار أي أحوال انجاز أفعالهم في السياق الواقعي، وبهذا الاعتبار توجد وظيفتان في السياق، وظيفة حال التكلم ووظيفة حال المخاطب، بحيث نتعرف على كل حال في السياق وفقا لما يكون فيه الشخص المشارك في المحادثة، وتقتضي أساسيات التواصل أن لا يكون المتكلم مستمعا في ذات الوقت، ومن ثمة فإن تقاليد الحوار والمحادثة تقضي بأن المشارك المستوفي وظيفة حال التكلم يمكن أن يسمى في الحوار المتكلم، والمشارك المستوفي وظيفة حال التخاطب يمكن أن يسمى المخاطب، والجامع بينهما هو المعرفة اللغوية حيث"تشكل"المعرفة اللغوية" امتلاك المتكلم السامع لـ:الأوضاع المتعارف عليها في عشيرته اللغوية، أي القواعد التي

[1] ينظر فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، 2000، ص258.

تكون نسق لغته هذه القواعد، كما أسلفنا، قواعد تربط بين الخصائص البنيوية للغة والخصائص الوظيفية."[1]

إن أطراف المحادثة في علاقتها مع المعرفة المشتركة تعيد ترتيب السياق وفق شكلين جامعين هما:

-السياق المستقبل الحاضر في أذهان أطراف المحادثة والذي يمكن افتراضه مسبقا في التعبير اللفظي.

-نواحي وجوانب السياق والتي تصبح ذات صلة وتؤخذ بعين الاعتبار بسبب المؤشرات الضمنية غير اللغوية أو أساليب بيانية في التعبير تبنى عن شعور المتكلم.[2]

نصل إلى القول إنه بدون هذه المعرفة المندرجة في سياق ما لا يمكن الجزم بالموضوع الذي يدور الكلام حوله، وفوق ذلك كله لا يمكن فك شفرات الخطاب القائمة على المراوحة بين أفعال الكلام وحال التكلم، ومن دون هذه المعلومات المستوفاة من المعطيات (المعرفة الابستيمية) الأساسية لا يصح وجود الفعل المشترك والفعل الانجازي على الإطلاق، وإذن فإن جزءا حاسما من البنية السياقية ينبغي أن يكون ذلك التغيير الحاصل في المجموعة المعرفية(الابستيمية) للمشاركين في الخطاب وبموجب هذا التغيير يمكن أن تحدد بداية السياق ونهايته.[3]

[1] أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، دار الكتاب الجيد المتحدة، بيروت، ط2، 2016، ص86.

[2] ينظر منال محمد هشام سعيد النجار، نظرية المقام عند العرب في ضوء البرغماتية ، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2011، ص21.

[3] فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق 2000، ص261-262.

وتزيد البحوث التداولية في معالجتها للسياق تحليلا أعمق، إذ يستعمل التداوليون التمام السياقي باعتباره محددّا رئيسيا لعملية التأويل Interprétation[1] ويقصدون به أن الخطاب والكلام يحمل في طياته تفاصيل نجهلها، هذه التفاصيل من قرائن والمعينات في جلاء المعنى وبيان الدلالة التي يحملها السياق، كما أن الجمل أو الملفوظات بلغة التداوليين تحتاج إلى التمام السياقي Contextuel Completness أي أن تكون الجملة أو الملفوظ غير كاملة في حدّ ذاتها لكنها كاملة إذا أخذ سياقها بعين الاعتبار، ويمكن القول أن التمام السياقي عند التداوليين يقابل التمام النحوي.

Grammatical completness في الدرس العربي، مع أن "التمام السياقي درجة أو حالة من حالات الخطاب أعلى من التمام النحوي، إذ يمكن أن تكون الجمل التامة نحويا غير دالة من حيث طلب النحو للتركيب المستوفي شروط العمل النحوي من غير نظر في استيفاء الدلالة أو انعقاد المعنى."[2]

من خلال ما سبق نصل إلى أن التحليل التداولي هو ذلك التحليل السياقي الذي يراعي المقامات التي يتنزل فيها الخطاب، وهي أنواع شتى:السياق اللغوي، السياق العاطفي، سياق الموقف، السياق الثقافي نجملها كما أجملها الباحث طه عبد الرحمن:

أولا: العنصر الذاتي: ويشمل معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته.

ثانيا: العنصر الموضوعي: ويشمل الوقائع الخارجية، الظروف الزمانية والمكانية، المصاحبة للخطاب.

[1] ينظر ادريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن ط1، 2011، ص155.

[2] المرجع السابق، فان ديك، النص والسياق، ص155.

ثالثا: العنصر الذواتي: ويشمل المعرفة المشتركة بين المتخاطبين أو العادات والتقاليد الاجتماعية المتفق عليها بداهة بين المتكلم والمستمع.

-التقاطعات المعرفية بين السياق والتأويل:

لقد وضع المفسرون شروطا للمفسر يتمكن من خلالها تفسير القرآن تفسيرا سليما وهذه الشروط تمثل في مجملها أركان السياق الحالي ومعرفة أسباب النزول (الأحداث والوقائع الملابسة للنص القرآني)، ولا شك أن استحضارها يعين على فهم معاني الآيات، وهو ما نبه إليه أئمة التفسير وبهذه المعرفة يزول الإشكال في فهم كثير من النصوص القرآنية، ومن خلال هذه الشروط قد أدرك المفسرون السياق.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نستشهد بها على السياق اللفظي كلمة(كتاب) التي ترد في سياقات مختلفة ويكون واحد من سياقاتها مختلفا عن مكانها في السياقات الأخرى على نحو ما هو موضح في الأمثلة التالية:

1:للرافعي كتاب عنوانه:وحي القلم.

2:قال تعالى:(ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢) [1]

3:قال تعالى:(فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣) [2]

[1] البقرة الآية 2.

[2] سورة النساء الآية 103.

وردت كلمة"كتاب" في الجمل الثلاثة بثلاثة معاني يختلف كل واحد منها عن الآخر.ففي الجملة الأولى انصرفت كلمة(كتاب) لتكون دالة على مؤلف، وفي الآية الأولى، دلت كلمة(كتاب) على القرآن الكريم، وفي الآية الثانية دلت كلمة(كتاب) على فريضة الصلاة.

فيفهم مما سبق أن السياق اللفظي يؤدي إلى أمرين دلاليين أولهما إثبات معنى محدد للحكمة، وثانيهما نفي ضمني لأي معنى آخر تحتمله الكلمة.[1]

وتبرز كذلك أهمية السياق في تحديد معنى العبارة من خلال المثال الآتي:

-صل على النبي:صلى الله عليه وسلم:

يقولون هذه العبارة لمن يأخذ الغضب منه مأخذه، فيكون المعنى المراد هو(اهدأ) ويقولون هذه العبارة، لمن يريدون أن يستوفوه عن الحديث، فيكون المعنى هو(كف عن الكلام) ويستعملونها أيضا في مخاطبة من يتسرع في القول أو الفعل فيكون المراد هو"تماهل" ويقولونها لمن يستكثر الأشياء أو الخير عند الناس، فيكون المعنى(لا تحسد الناس)إلى آخر.[2]

ما تدل عليه هذه العبارة الطيبة من معان في مواقف حياتية مختلفة.

ويرى أولمان أنه لو روعي السياق بدقة واطراد لأمكن التخلص من الكثير من الاقتباسات والترجمات والتفسيرات الكثيرة الخاطئة.[3]

[1] سميرة أستيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ص288.

[2] المرجع السابق، ص290.

[3] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة العربية، ص51.

وقد ذهب بول وبراون(1983) إلى أن محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب والسياق لديهما يتشكل من:المتكلم، الكاتب، والمستمع القارئ، الزمان والمكان، لأنه يؤدي دورا فعالا في تأويل الخطاب.

ولكي يبين براون وبول أهمية السياق في التأويل يقدمان ثلاثة أمثلة مكتوبة جردت من السياقات التي ظهرت فيها، حيث يقرأ المحلل النص وعليه أن يهيء بالتالي مميزات السياق الذي يمكن أن تكون قد وردت فيه.إلا أننا سنكتفي بمثالين من ثلاثة لأن المثالين الأول والثاني موجهين للقارئ العام حسب تعليق بول وبراون، والثالث موجه إلى مخاطبين معنيين إلى الناس عموما.

أ:ضع إصبعين في الثقبين اللذين يقعان مباشرة إلى اليسار من موقف الأصابع، حرّك الإصبع الأقرب لهذا الموضع.

ب: الحشرات المرفوسة لا تعض الحكم للعقل الجنوبي.[1]

غني عن البيان أن الكلمات التي يتشكل منها الخطابات معلومة لدى القارئ معجميا فهي معلومة لديه إن نظر لها معزولة عن بعضها البعض، ولكن تجميعها على هذا النحو يوحي بالغرابة والغموض.

فالخطاب الأول من المحتمل أن نتمكن من التعرف على نوع الكاتب على أنه جهة رسمية خفية الذات تتجه بالقول إلى قارئ عام لا إلى شخص بعينه(حيث وقع التركيز على المكان والمسافة.)

وصعوبة فهم هذا الخطاب يعود إلى عدم التأكد من معرفة الأشياء التي يحيل عليها تعبير(الثقبين)و(موقف الأصابع) لكن من خلال الخطاب يتبين أن الثقبين مناسبين لوضع

[1] طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص218.

الأصبعين وربما يكون الثقبان على درجة كافية من التقارب بحيث يمكن اقتحام إصبعين من اليد فيهما، وبالتالي فالمسافة على بعد سنتيمترات.ولو أعطيت المعلومة الآتية:

الباث:هو مكتب البريد

المتلقي:هو أنت، مستعمل الهاتف.

يقول براون وبول إنك من المحتمل أن تتعرف على الباقي إن لم تكن قد عرفته أصلا ومعرفة زمان ومكان التلفظ مهم أيضا فالزمان يحدد لك أن هذه التعليمات ما زالت سارية أم لا.

والمكان يحدد لنا القرية أو الدولة التي أعطيت فيها هاته التعليمات. [1]

أما الخطاب الثاني:فهو أكثر تعقيدا من الأول، وقد ظهر هذا الخطاب على أحد جدران مدينة جلاسجو(مدينة في اسكتلندا)وهذا هو مكان الخطاب، أما الزمان فهو السبعينات التي اشتهرت بظهور خطابات مماثلة على جدران هذه المدينة. [2]فمن خلال الخطاب يتبين أن المتلقي لديه تجربة فيما يخص نوع الخطاب، ومن ثم فإن شكل الخطاب وزمانه ومكانه قد يوحيان للمتلقي إن كانت لديه تجربة سابقة مع هذا النوع من الخطابات بأن هذا الخطاب يعبر عن تفاعل بين عصابات ما، فالمعرفة الموسوعية للعالم تخبرك بأن الكاتب عضو من عصابة"العقل الجنوني"والمتلقون المعنيون هم أعضاء من عصابة"الحشرات" ولغة التخاطب بين عصابات الشوارع تتمثل في تبادل الشتائم الاستفزازية"الحشرات المفترسة لا تعض"[3]

[1] براون وبول، تحليل الخطاب، ص52.

[2] ينظر براون وبول، تحليل الخطاب، ص52-53، ومحمد خطابي لسانيات النص، ص52-54.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص، ص54.

وبناءا على ما سبق يمكن للمتلقي أن يؤول الخطاب السابق بأنه موجه من عصابة إلى عصابة أخرى محذرة إياها من مغبة خرق قانون العصابة الأخرى.

فالخطاب الثاني على حد قول بول وبراون موجه إلى مخاطبين معينين- كما ذكرنا سالفا- لا إلى عامة الناس، ومن الصعب على عامة الناس أن يفهموه دون أن يكون لديهم علم بالفرضيات المشتركة والتجربة السابقة.[1]

ويسلك الباحثان خطة ثانية لإبراز دور السياق في التأويل قائمة على تغيير أحد عناصر السياق، كتغيير المتكلم مثلا في المثال الآتي:

أ:هل تزور المنطقة باستمرار.

ب:نعم باستمرار، مرة في الشهر تقريبا، إني آت لزيارة أولادي.

(إن ما يهمنا هي أنماط الاستنتاجات المختلفة التي نخلص إليها كمخاطبين بالاعتماد على

متغيرات مثل:عمر المتكلم وجنسه كنتيجة لسماع ما قاله"ب")[2]

فإذا كان(ب) رجلا يبلغ من العمر"سبعين عاما" فإننا سنتوقع أن أولاده راشدون، وأن زيارته لهم مرة في كل شهر لا يترتب عنها شيء استثنائي سوى أنه تربطه بهم روابط وثيقة، أما إذا كان المتكلم رجلا في"الثلاثين" من عمره فمن المتوقع أن أطفاله مازالوا صغارا، بمعنى أنهم يعيشون عادة مع آبائهم، ولنا أن نتساءل لماذا لا يعيش أطفال(ب) مع والدهم؟ هل أن ظروف عمله لا تسمح له بذلك؟أم أنه منفصل عن أمهم فأجبره ذلك على العيش بعيدا عنهم؟.

[1] براون وبول، تحليل الخطاب، ص55.

[2] المرجع السابق، ص55.

وإذا افترضنا أن المتكلم امرأة في الثلاثين من عمرها فإن الاستدلالات ستختلف.إذ من المفترض أن يعيش الأطفال مع أمهم. وعدم إقامتها معهم راجع لسبب يدعوا إلى ذلك، مثلا أنها ألحقتهم بمؤسسة تربوية.

إن ما يجب ملاحظته أن هذه الاستدلالات المختلفة لا تنبع من صيغة اللغة المستعملة بل أنها نابعة من تغيير السياق، أي من التلاعب البسيط بعمر الباث وجنسه. [1]وهو عنصر مهم من عناصر السياق.

وهكذا فالسياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، ويمكننا من تحديد ودراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في استعمال اللغة، وأي استغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوترة، لذا فهو يقوم بدور فعال في تواصلية الخطاب وانسجامه.

[1] المرجع السابق، ص95.

الفصل الرابع:أثر السياق في تحديد الدلالة الوظيفية "سورة مريم" أنموذجا

المبحث الأول:سياق السورة

المبحث الثاني: السياق ودلالة الصوت والحرف

المبحث الثالث:السياق ودلالة الكلمة

المبحث الرابع: أثر السياق في تحديد بعض الظواهر اللغوية(المشترك اللفظي والترادف)

1 الفصل الرابع:أثر السياق في تحديد الدلالة الوظيفية سورة مريم أنموذجا:

يؤدي السياق إلى تماسك عناصر النص وذلك من خلال تفاعل القارئ أو السامع مع آليات النص، وهذا التفاعل يؤدي إلى ملأ الفجوات التي تتخلل أجزاءه وبما أن المدونة نص قرآني فهو يفترض متكلما ومتلق يكون قصد الأول التأثير على الثاني

وقبل الحديث عن سياق السورة وجب التعريف بها.

المبحث الأول:سياق السورة

-التعريف بسورة مريم:

سورة مريم سورة الرحمة ولذا سميت بمريم والأنثى رمز للرحمة وذكر فيها الرحمان 16 مرة والرحمة 4 مرات وذكر أشياء تتصل بالرحمة وضدها وهي إحدى السور المكية ماعدا الآيات 58 و71 فهي مدنية، بلغ عد آياتها 98 آية وتقع في الجزء السادس عشر ونزلت بعد سورة فاطر والسورة سميت على اسم العذراء "مريم" أم عيسى المسيح لتكون بذلك السورة الوحيدة في القرآن التي سميت على اسم امرأة وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة "فاطر"وقيل سورة"طه" في أثناء السنة الرابعة من البعثة.

-عدد كلماتها:972كلمة

-عدد حروفها:3835 حرفا

-هدف السورة:أهمية توريث الدين للأبناء[1]

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، مطبعة الدار التونسية، 1435، ص87.

-فقد اتفق المفسرون على أن غرض السورة هو تقرير التوحيد أما مقاصدها فتتجلى في إثبات وحدانيته سبحانه وتنزيهه عن الولد وإثبات البعث يوم القيامة.[1]

سياق السورة:

إن سياق هذه السورة معرض للانفعالات والمشاعر القوية...الانفعالات في النفس البشرية، وفي نفس الكون من حولها.فهذا الكون الذي نتصوره جمادا لا حس له يعرض في سياق ذا نفس وحس ومشاعر وانفعالات، تشارك في رسم الجو العام للسورة.

حيث نرى السماوات والأرض والجبال تغضب وتنفعل لتكاد ت تفطر وتنشق وتنهر استنكارا:[2]

-قوله تعالى:"أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا" [3]

أما الانفعالات في النفس البشرية فتبدأ مع مفتتح السورة وتنتهي مع ختامها، والقصص الرئيسي فيها حافل بهذه الانفعالات في مواقفه العنيفة العميقة.وبخاصة في قصة مريم وميلاد عيسى.

والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة والرضى والاتصال.فهي تبدأ بذكر رحمة الله لعبده زكريا.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، مطبعة الدار التونسية، 1435، ص87.

[2] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر القاهرة، ط1، 2011، ص2672.

[3] سورة مريم الآية 91-92.

-قوله تعالى:"إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ [1]وهو يناجي ربه نجاء قوله تعالى:" إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا.[2] أما لفظ الرحمة ومعناها وظلها فهو يتكرر في ثنايا السورة كثيرا.ويكثر فيها اسم الرحمن وهو يصور النعيم الذي يلقاه المؤمنون به في صورة ودٍ:في قوله تعالى:"إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ [3]

ويذكر من نعمة الله على يحي أن آتاه الله حنانا في قوله تعالى:" وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ [4]

ومن نعمة الله على عيسى أن جعله برا بوالدته وديعا لطيفا،في قوله تعالى:" وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ [5]

ومن هذا فإننا لا نحس لمسات الرحمة الندية ودبيبها في الكلمات والعبارات والظلال، كما نحس انتفاضات الكون وارتجافاته لواقع كلمة الشرك التي لا تطيقها فطرته.

[1] سورة مريم الآية 3.

[2] سورة مريم الآية 3.

[3] سورة مريم الآية 96.

[4] سورة مريم الآية 13.

[5] سورة مريم الآية 32.

المبحث الثاني:السياق ودلالة الصوت والحرف

أولا:ماهية الصوت لغة واصطلاحا:

1:الصوت لغة: عرفه ابن منظور في لسان العرب أنه:" الصوت، الجرس معروف مذكر، فأما قول رويشد كثير الطائي:فإنما أنثه لأنه أراد به الضوضاء والجلبة على معنى الضجة والاستغاثة وقد صات يصوت صوتا وصوت به:كله نادى ويقال صوت بصوت تصويتا فهو مصوت وذلك إذا صوت بإنسان فدعاه ويقال:صات بصوت تصويتا فهو صائت معناه صائح، ابن السكيت: الصوت صوت الإنسان وغيره والصائت:الصائح وفي الحديث كان ابن العباس رجلا صيتا أي شديد الصوت يقال هو صائت وصيت كصائت وصيت وأصله الواون وحمار صات:شديد الصوت وكل ضرب من العناء صوت والجمع:الأصوات وأصات القوس جعلها تصوت والصيت والصات الذكر الحسن.

الصيت:الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح و إنصاف للأمر إذ استقام وقولهم دعى فانصاف أي أجاب وأق لي والمنصات القويم القامة وقد انصات الرجل إذا استوت قامته بعد انحناء."[1]

2:اصطلاحا: عرف الصوت اللغوي على أنه:أثر سمعي يصدر طواعية واختيارا"عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزا أعضاء النطق، والملاحظ أن هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات معدلة وملائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة أيضا، ومعنى ذلك أن المتكلم لا بد أن يبذل مجهودا ما كي يحصل على الأصوات اللغوية."[2]

[1] ابن منظور، لسان العرب، م2، مادة(صوت)

[2] كمال بشر علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص119.

وقد عرفه علي بن محمد الشريف الجرجاني(ت 471هـ) بأنه:"كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصماخ"[1]

لذلك فالصوت يدرك عبر حاسة السمع.

ثانيا:الدلالة السياقية للصوت في سورة مريم

للسورة (سورة مريم)إيقاع موسيقي خاص فحتى جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمقا ومن أمثلة ذلك:سريا خفيا، نجيا...وأما المواضع التي تقتضي الشد والعرف فتجيء فيها الفاصلة دالا إلا:في غالب:مدا، ضدا، إدا، هدا أو زايا:عزا، أزا.[2]

وتنوع الايقاع الموسيقي والفاصلة والقافية بتنوع الجو والموضوع يبدو جليا في هذه السورة فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى فتسير الفاصلة والقافية.

هكذا:قوله تعالى:"كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ [3]وقوله:" ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ [4]وظيفة الصوت ساهمت في تبيين مشاعر الخشية والخشوع والتضرع من خلال دعاء سيدنا زكريا عليه السلام كما ساهمت في إيقاعية النسق.

[1] الجرجاني علي بن محمد شريف، التعريفات ، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1990، ص130.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ص2673.

[3] سورة مريم الآية1.

[4] سورة مريم الآية 2-3.

وتليها قصة مريم وعيسى فتسير الفاصلة والقافية على النظام نفسه:قوله تعالى:"وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ [1]

إلى أن ينتهي القصص، ويجيء التعقيب لتقرير حقيقة عيسى ابن مريم، وللف صل في قضية نبوته فيختلف نظام الفواصل والقوافي....فتطول الفاصلة وتنتهي القافية بحرف الميم أو النون المستقر الساكن عند الوقف لا بالياء الممدودة الرخية

على النحو التالي:قوله تعالى:" ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٣٥ [2]

[1] سورة مريم الآية 16-17.

[2] سورة مريم الآية 34-35.

وبانتهاء التقرير والفصل وعودة السياق إلى القصص عادت القافية الرخية المديدة قوله تعالى:"وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا [1]

حتى إذا جاء ذكر المكذبين وما ينتظرهم من عذاب وانتقام، تغير الايقاع الموسيقي وجرس القافية في قوله تعالى:" قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ [2]

وفي موضع الاستنكار يشتد الجرس والنغم بتشديد الدال:في قوله تعالى:" وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ [3]

وهكذا يسير الإيقاع الموسيقي في السورة وفق المعنى والجو ويشارك في إبقاء الظل الذي يتناسق مع المعنى في ثنايا السورة، وفق انتقالات السياق من جو إلى جو ومن معنى إلى معنى.

[1] سورة مريم الآية 41-42.

[2] سورة مريم الآية 75.

[3] : مريم الآية 88-90.

والسياق يسير مع موضوعات السورة في أشواط ثلاثة وهي:

-الشوط الأول:يتضمن قصة زكريا ويحي، وقصة مريم وعيسى والتعقيب على هذه القصة بالفصل في قضية عيسى التي كثر فيها الجدل، واختلفت فيها أحزاب اليهود والنصارى.[1]

-الشوط الثاني: يتضمن حلقة من قصة إبراهيم مع أبيه وقومه واعتزاله لهة الشرك وما عوضه الله من ذرية نسلت بعد لك الأمة.

ثم إشارات إلى قصص النبيين، ومن اهتدى بهم ومن خلفهم من الغواة ومصير هؤلاء وهؤلاء.

وينتهي بإعلان الربوبية الواحدة، التي تعب د بلا شريك :"رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ [2]

-والشوط الثالث: يبدأ بالجدل حول قضية البعث، ويستعرض بعض مشاهد القيامة، ويعرض صورة من استنكار الكون كله لدعوى الشرك، وينتهي بمشهد مؤثر عميق من معارك القرون

[1] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط17، 1992، ص2674.

[2] سورة مريم الآية 98.

ويظهر ذلك في قوله تعالى:" وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا ﴿٩٨﴾ [1]

ثالثا: دلالة تكرار الصوت في سورة مريم: ومن هذا التكرار قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن

قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ [2]

وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب، واجعله رب رضيا، فتكرار صوت الياء أدى وظيفة وبين المعنى وهو أن سيدنا زكريا عليه السلام يناجي ربه بعيدا عن عيون الناس وأسماعهم في عزله يخلص فيها لربه ويكشف لنا عما يثقل كاهله ويكرب صدره وينادي في قرب واتصال.

(رب) بلا واسطة حتى ولا حرف النداء، و إن ربه ليسمع من غير دعاء ولا نداء ولكن المكروب يستريح إلى البث ويحتاج إلى الشكوى، والله الرحيم بعباده يعرف ذلك من فطرة البشر، فيستجيب

[1] سورة مريم الآية 98

[2] سورة مريم الآية 4-5-6-7.

لهم أن يدعوه وأن يبثوه ما تضيق به صدورهم.[1] بدليل قوله تعالى:"وقال ربكم ادعوني أستجيب لكم" ليريحوا أعصابهم من العبء المرهق، ولتطمئن قلوبهم إلى أنهم قد عهدوا بأعبائهم إلى من هو أقوى وأقدر وليستشعروا صلتهم بالجناب الذي لا يضام من يلجأ إليه، ولا يخيب من يتوكل عليه.

وزكريا يشكو إلى ربه وهن العظم، وحين يهن العظم يكون الجسم كله قد وهن.والعظم هو أصلب ما فيه وهو قوامه الذي يقوم به ويتجمع عليه، ويشكوا إليه اشتعال الرأس شيبا، والتعبير المصور يجعل الشيب كأنه نار تشتعل في الرأس لتشمله كله، فلا يبقى في الرأس المشتعل سواد، فوهن العظم واشتعال الرأس شيبا كلاهما كناية عن الشيخوخة وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربه وهو يعرض عليه حاله ورجاءه وكل هذا بينت وظيفة التكرار صوت الياء.

ثم يعقب عليه بقوله:" قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ [2]معترفا بأن الله قد عوده أن يستجيب إليه إذ دعاه فلم يشق مع دعائه لربه، وهو في قوته، فما أحوجه الآن في هرمه وكبرته أن يستجيب الله له ويتم نعمته عليه، فزكريا عليه السلام صور حاله، وقدم رجاءه ذكر ما يخشاه وعرض ما يطلبه.

-وفي قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ [3]

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1992، ص2675.

[2] سورة مريم الآية 4.

[3] سورة مريم الآية 10-11.

فوظيفة تكرار صوت الياء بينت فيض الكرم الإلهي يغدقه على عبده الذي دعاه في ضراعة، ونجاة في خفية، وكشف له عمّا يخشى وتوجه إليه فيما يرجو، والذي دفعه إلى دعاء ربه خوفه الموالي من بعده على تراث العقيدة وعلى تدبير المال والقيام على الأهل بما يرضي الله.وعلم الله ذلك من نيته فأغدق عليه وأرضاه.[1]

وكأنما أفاق زكريا من غمرة الرغبة وحرارة الرجاء على هذه الاستجابة القريبة للدعاء، فإذا هو يواجه الواقع، أنه رجل شيخ بلغ من الكبر عتيا، وهن عظمه واشتعل شيبه وامرأته عاقر لم تلد له في فتوته وصباه، فكيف يا ترى سيكون له غلام؟إنه ليريد أن يطمئن، ويعرف الوسيلة التي يرزقه الله بها هذا الغلام ويظهر ذلك في قوله:" قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ [2]

فسيدنا زكريا عليه السلام يواجه الواقع، ويواجه معه وعد الله.وإنه ليثق بالوعد، ولكنه يريد أن يعرف كيف يكون تحقيقه مع ذلك الواقع الذي يواجهه ليطمئن قلبه، وهي حالة نفسية. طبيعية، ثم يأتيه الجواب عن سؤاله:أن هذا هين على الله وذلك في قوله تعالى:" قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ [3]

فليس في الخلق هين وصعب على الله ووسيلة الخلق للصغير والكبير، وللحقير والجليل واحدة "كن فيكون" والله هو الذي جعل العاقر لا تلد.

[1] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط17 ، 1992، ص2677.

[2] سورة مريم الآية 8.

[3] سورة مريم الآية 9.

وجعل الشيخ الفاني لا ينسل، وهو قادر على إصلاح العاقر وإزال ة سبب العقم، وتجديد قوة الإخصاب في الرجل.وهو أهون في اعتبار الناس من إنشاء الحياة ابتداء، وإن كان كل شيء هينا على القدرة إعادة أو إنشاء.

وقوله تعالى:"يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ١٥ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ [1]

ففي قوله تعالى:" يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ [2]

[1] سورة مريم الآية 12-20.

[2] سورة مريم الآية 12.

يتبين أول موقف ليحيى وهو موقف انتدابه ليحمل الأمانة، فهو نودي ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم، فلا يضعف ولا يتهاون ولا بتراجع عن تكاليف الوراثة.

وقوله:"يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ [1] فهذه هي المؤهلات التي زوده الله بها وأعده وأعانه على احتمال ما كلفه إياه عندما ناداه...

فيحيى كان فذا في زاده، كما كان فذا في اسمه وفي ميلاده، كما أتاه الله الحكمة وهو صبي والطهارة والعفة ونظافة القلب والطبع يواجه بها أدران القلوب ودنس النفوس، فيطهرها ويزكيها.[2]

أما في قوله تعالى (وكان تقيا) يتبين أن يحيى كان موصولا بالله متحرجا معه، مراقبا له يخشاه ويستشعر رقابته عليه في سره ونجواه.

والعبرة التي نستخلصها من القصة هي دعاء سيدنا زكريا واستجابة ربه له، وفي نداء يحيى وما زوده الله به.

[1] سورة مريم الآية 12-13.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط17، 1992، ص2679.

وفي قوله تعالى:" قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ [1]

استثناء حتى المخلوقات التي لا يوجد فيها ذكر وأنثى متمايزان تتجمع في الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنيث.لكن الله عز وجل أراد أن يضرب للبشر مثل عيسى ابن مريم-عليه السلام-حتى يذكركم بحرية القدرة وطلاقة الإرادة، ونظرا لغرابة الحادث وضخامته فقد عز على فرق من الناس أن تتصوره على طبيعته وأن تدرك الحكمة في إبرازه، فجعلت تضفي على-عيسى ابن مريم- عليه السلام صفات ألوهية، وتصوغ حول مولده الخرافات والأساطير، وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو العجيب، وهي إثبات القدرة الإلهية التي لا تتقيد تعكسها فتتشوه عقيدة التوحيد.[2]

وفي قوله تعالى:" وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى

[1] سورة مريم الآية 21-22.

[2] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط17، 1992، ص2680.

بَشَرٌ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيًّا ﴿٢١﴾ [1]

فمريم عليها السلام فتاة عذراء وهبتها أمها وهي في بطنها لخدمة المعبد فلا يعرف عنها أحد إلا الطهر والعفة ولا يعرف عن أسرتها إلا الطيبة والصلاح من قديم.فها هي ذي تخلوا إلى نفسها لشأن من شؤونها التي تقتضي التواري من أهلها والاحتجاب عن أنظارهم، ولكن ها هي ذي كذلك تفاجئ مفاجئة عنيفة وهي ظهور رجل مكتمل سوي قوله تعالى:" فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ [2]

ما جعلها تلجأ إلى الله تستعيذ به وتستنجد وتستشير مشاعر التقوى في نفس الرجل، والخوف من الله والتحرج من رقابته في هذا المكان الخالي، وفي قوله تعالى:" قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا"[3]فالتقي ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمان، ويرجع عن دفعة الشهوة ونزع الشيطان وهذه الآية تبين لنا التربية الصالحة، والتي نشأت في وسط صالح، وكفلها زكريا، بعد أن نذرت لله جنينا وهذه الهزة الأولى.[4]

[1] سورة مريم الآية 16-21.

[2] سورة مريم الآية 16-21.

[3] سورة مريم الآية 17.

[4] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط17، 1992، ص2681.

قوله تعالى:"قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ [1]

هذه الآية تمثل مقدار الفزع والخجل.فهذا الرجل السوي-الذي لم تثق بعد بأنه رسول ربها- قد تكون حيلة فاتك يستغل طيبتها- يصارحها بما يخدش سمع الفتاة الخجول وهو أنه يريد أن يهب لها غلاما، وهما في خلوة-وهذه هي الهزة الثانية."[2]

-وفي قوله تعالى:"قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ [3]

هكذا في صراحة وبالألفاظ المكشوفة فهي والرجل في خلوة، والغرض من مباغتته لها قد صار مكشوفا كيف لا وهي أنثى مهددة في عرضها، وذلك ما جعلها تسأل في صراحة"كيف"؟فما تعرف هي بعد هي بعد كيف يهب لها غلاما؟وما يخفف من روع الموقف أن يقول لها(إنما أنا رسول ربك)ولا أنه مرسل ليهب لها غلاما طاهرا غير مدنس، ولا مدنس السيرة، ليطمئن بالها، لا فالحياء هنا لا يجدي والصراحة أولى كيف؟وهي عذراء لم يمسسها بشر وما هي بغي فتقبل الفعلة التي يجيء منها بغلام!

[1] سورة مريم الآية 19.

[2] ينظر:سيد قطب،في ظلال القرآن،دار الشروق،مصر،القاهرة،ط17، 1992،ص2681.

[3] سورة مريم الآية 20.

-قوله تعالى:"قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ [1] فهذا الأمر الخارق الذي لا تتصور مريم وقوعه، هين على الله وذلك لأنها أمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون كل شيء هين، وجاء الروح (رجل السوي) ليؤكد بها ذلك، وأن الله أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس وكذلك حتى تكون علامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته.

ورحمة لبني إسرائيل أولا وللبشرية جميعا.

ونستخلص من هذا كله أن مريم بالرغم من أنها عذراء ولا يمسسها بشر إلا أنها سيكون لها غلام وأن يكون هذا الغلام آية للناس ورحمة من الله، وهذا أمر قد انتهى أمره، وتحقق وقوعه قوله تعالى:" وكان أمرا مقضيا".

-أما في قوله تعالى:" فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ [2] فالسياق لا يذكر كيف حملته ولاكم حملته، وهل كان حملا عاديا كما تحمل النساء وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط في البويضة فإذا هي علقة فمضغة فعظام ثم تكسى العظام باللحم وسيكتمل الجنين أيامه المعهودة.وأن هذه الآيات تبين موقفين الأول:تواجه فيه مريم عليها السلام الحصانة والتربية والأخلاق، بينها وبين نفسها فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة، ثم هي تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية تواجه المخاض الذي جاءها إلى جذا النخلة، واضطرها اضطرارا إلى الاستناد عليها، وهي وحيدة تعاني

[1] سورة مريم الآية 21.

[2] سورة مريم الآية 23.

حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء ولا معين لها في شيء، فإذا هي قالت:"يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا"فإننا لنكاد نرى ملامحها، ونحس اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها، ما جعلها تتمنى لو أنها كانت نسيا.[1]

وقوله:"فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ [2]

هذه الآية تؤكد المعجزة وهي:طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها فيطمئن قلبها ويصلها بربها، ويرشدها إلى طعامها وشرابها ويدلها على حجتها وبرهانها.

فقوله تعالى:"لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا" [3] المقصود منها فلم ينسك ولم يتركك فهو سبحانه قد أجرى لك تحت قدميك جدولا ساريا الأرجح أنه جرى للحظة من ينبوع أو تدفق من مسيل ماء في الجبل–وهذه النخلة التي تستند ين إليها هزيها فتساقط عليك رطبا.فهذا طعام وذاك .والطعام الحلو مناسب للنفساء والرطب والتمر من أجود طعام النفساء

وفي قوله تعالى:" فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ [4]

[1] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط17، 1992، ص2682.

[2] سورة مريم الآية 24-25-26.

[3] سورة مريم الآية 24.

[4] سورة مريم الآية 26.

فأما إذا واجه ت أحدا فأعل يه بطريقة الكلام أنك نذرت للرحمن صوما عن حديث الناس وانقطعت إليه للعبادة، ولا تجيب أحدا عن سؤال ويكون بذلك يكشف عن الخارقة التي جاءت به إليها.[1]

-في قوله تعالى:" فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [2]

إن ألسنتهم لتنطق بالتقريع والتأنيب(يا مريم لقد جئت شيئا فريا) فظيعا مستنكرا، ثم يتحول السخط إلى تهكم مرير، (يا أخت هارون) النبي الذي الهيكل هو وذريته من بعده والذي تنتسبين إليه بعبادتك وانقطاعك لخدمة الهيكل، فيا للمفارقة بين تلك النسبة التي تنتسبينها وذلك الفعل الذي تقارفينه![3]

-وتقع الخارقة العجيبة مرة أخرى في قوله تعالى:" قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [4]

[1] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط17، 1992، ص 2683.

[2] سورة مريم الآية 27-28.

[3] سورة مريم الآية 30-31.

[4] سورة مريم الآية 30-33.

وبهذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله وهو ليس ابنه كما تدعي فرقة وليس هو إلاها كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة، كما يعلن أن الله جعله نبيا، لا ولدا ولا شريكا، وبارك فيه وأوصاه بالصلاة والزكاة مدة حياته، والبر بوالدته والتواضع مع عشيرته، فله إذن حياة محدودة ذات أمد، وهو يموت ويبعث، وقد قدر الله له السلام.[1]

والأمان والطمأنينة يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.

-ولا يزيد السياق القرآني شيئا في قوله تعالى:"أتاني الكتاب وجعلني نبيا"[2] والمقصود من هذه الآية هو حادث ميلاد عيسى هو المقصود فحين يصل به السياق إلى ذلك المشهد الخارق يسدل الستار ليعقب بالغرض المقصود في أنسب موضع من السياق بلهجة التقرير.

في قوله تعالى :"ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ [3] فهذه الآية تنفي ما يقوله المؤهلون له أو المتهمون لأم هـ في مولده، ذلك هو في حقيقته وذلك واقع نشأته، ذلك هو يقول الحق الذي فيه يمترون ويشكون.وأن الله منزه من أن يكون له ولد، وأما في قوله تعالى:" وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ [4] يعلن عيسى عليه السلام ربوبية الله ويدعو الناس إلى عبادة الله الواحد بلا شريك.

---

[1] ينظر سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، القاهرة، ط17، 1992، ص2684.

[2] سورة مريم الآية 30.

[3] سورة مريم الآية 34.

[4] سورة مريم الآية 36.

-وينذر السياق الكافرين الذين ينحرفون عن الإيمان بوحدانية الله بمشهد يوم عظيم تشهده جموع أكبر في قوله تعالى:" فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾ [1] ثم يأخذ السياق في التهكم بهم وبإعراضهم غن دلائل الهدى في الدنيا في قوله تعالى:"أسمع بهم وأبصر يوم "يأتون" لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين"

-وتبدو شخصية ابراهيم الرضي الحليم في ألفاظه وتعبيراته وفي تصرفاته ومواجهته للجهالة من أبيه كما تتجلى رحمة الله به بتعويضه عن أبيه وأهله المشركين في قوله تعالى:" وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ [2]

كما نجد إبراهيم عليه السلام يتوجه إلى أبيه ويحاول أن يهديه إلى الخ ير الذي هداه الله إليه وعلمه إياه وأنه ليست هناك غضاضة في أن يتبع الوالد ولده، إذا كان الولد على اتصال بمصدر أعلى.

[1] سورة مريم الآية 37-39.

[2] سورة مريم الآية 41-43.

-ونجد إبراهيم عليه السلام يحذر أباه من أن يغضب غليه فيعاقبه فيجعله وليا للشيطان

وتابعا، فه داية الله لعبده إلى الطاعة نعمة وقضاؤه عليه أن يكون من أولياء الشيطان نقمة تقوده إلى عذاب أشد وخسارة أفدح يوم يقوم الحساب ذلك في قوله تعالى:" وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ [1] فالذي يرجوه ابراهيم هو مجرد تجنيبه الشقاوة وذلك من

الأدب والتخرج الذي يستشعره.

ونجد الله يصف موسى عليه السلام بأنه كان مخلصا استخلصه الله له ومحضه لدعوته وكان رسولا نبيا، والرسول هو صاحب الدعوة من الأنبياء المأمور بإبلاغها للناس، كما يبين فضل موسى بندائه من جانب الطور الأيمن وتقريبه إلى الله لدرجة الكلام ويظهر ذلك في قوله تعالى:" وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَآ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ

[1] سورة مريم الآية 41-49.

كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴿٥٧﴾ [1]

ثم يرسم صورة للجنة ومن فيها في قوله تعالى:" لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ [2] فلا فضول في الحديث ولا ضجة ولا جدال، إنما يسمع فيها صوت واحد يناسب هذا الجو الرضي وهو صوت السلام والرزق في هذه الجنة مكفول لا يحتاج إلى طلب ولا كد، ولا يشغل النفس بالقلق والخوف من التخلف أو النفاذ قوله تعالى:" لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ [3]

[1] سورة مريم الآية 50-57.

[2] سورة مريم الآية 62.

[3] سورة مريم الآية 62.

وينتقل السياق ليرسم لنا الصورة الحسية للكفار وهو جاثون حول جهنم جثوا الخزي والمهانة في صورة رهيبة وهذه الجموع التي لا يحصيها العد محشورة محضر ة إلى جهنم جاثية حولها، تشهد هو لها في ذلة وفزع في قوله تعالى:"ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا"[1]

ويستمر السياق في حديثه عن الكفار وما ينتظرهم من وعيد ليختم في الأخير بمشهد يتأمله القلب طويلا، ويرتعش له الوجدان طويلا.

حيث أن هذا المشهد يبدؤك بالرجة المدمرة ثم يغمرك بالصمت العميق وذلك في قوله تعالى:"

وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ

تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزًا ﴿٩٨﴾ [2]

ونستخلص من هذا كله أن السورة كانت تحمل مواضع متنوعة فجمعت بين موضوع التوحيد ونفي الولد والشريك كما قامت بعرض مشاهد القيامة وبينت لنا جزاء الكفار.

كما أن هذا التحليل، يظهر لنا أنه من الصعب فهم نص وتأويله التأويل المناسب بمعزل عن سياقه الذي تظهر فيه أغلب هذه العناصر أو بعضها على الأقل، مما يدل دلالة قاطعة وثابتة على أهمية السياق، ودوره الفعال في تحقيق انسجام النص من جهة، وعلى تفاوت أهمية تلك العناصر حسب أنواع النصوص من جهة أخرى.

[1] سورة مريم الآية 68.

[2] سورة مريم الآية 98.

السياق ودلالة الحرف:

أولا: مفهوم الحرف لغة واصطلاحا

1:الحرف لغة: جاء في لسان العرب:"الحرف من حروف الهجاء، والحرف الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل"عن"و"على" ونحوها، والحرف القراءة التي تقرأ على أوجه وما جاء في حديث من قوله صلى الله عليه وسلم:"نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف"[1]أراد بالأحرف اللغة.

2:الحرف اصطلاحا: عرفه سيبويه في قوله:"وأما ما جاء بمعنى وليس باسم ولا فعل نحو:ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحو هذا وهي تجرى على ثمانية مجال:النصب والجر والرفع والجزم، والفتح والضم والكسر والوقف وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب:فالنصب والفتح في اللفظ ضرب وا حد، والجر والكسر في ضرب واحد وكذلك الرفع والضم والجزم والوقف."[2]

ويقول ويبين لك أنها ليست بأسماء لأنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك، ويقول أيضا ألا ترى أنك لو قلت:" إن يضرب يأتينا وأشباه ذلك لم يكن كلاما؟إلا أنها ضارعت الفاعل لاجتماعها في المعنى."[3]

هي كلمة دلت على معنى في غيرها وله ثلاثة أقسام أحدهما مختص بالاسم والآخر مختص بالفعل كحروف الجزم، والثالث مشترك بينهما كحروف النصب.[4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج7، ط1، 2000، ص89.

[2] سيبويه، الكتاب ، تح الأستاذ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، دت، ج1، ص11.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص12.

[4] المرجع نفسه، ص12.

وهناك من يقسم الحروف إلى:

–حروف المباني: وهي المكونة لبناء الكلمة مثل:الكاف واللام والميم في مصطلح(كلم).

–حروف الإطلاق:أو المدّ أو العلة، وهي تتولد عن إشباع الحركات المجانسة لها، وقد تزاد غالبا في آخر القوافي لغرض لفظي فقط، وهي حروف العلة الثلاثة، الألف، والواو والياء.

–حروف الزيادة:وهي التي تزاد عن بنية الكلمة لغرض لفظي أو معنوي نحو التضعيف.

–حروف المعاني: وهي التي تفيد معنى فيما اتصلت به، أو نحلت عليه كالسين التي للاستقبال ومن التبعيضية، وإن التوكيدية ولم النافية.[1]

وقد جاء اختيار لأدوات الاستفهام وذلك من أجل تبيان معانيها بحكم أنها وردت بكثرة في السورة (مريم).

ثانيا: دلالة أدوات الاستفهام في سورة مريم:

إن الاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وظيفته استخبار والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك وأدواته أسماء وظروف وحروف، فالأسماء:من، ما، أي، وكم والظروف:متى، أين كيف، أي، حين وأيانا، والحروف:الهمزة، لم، هل، وعلى الاستفهام الرتابة عن النص لأنه يعد شكلا من أشكال التنوع في الأساليب.

والانتقال من الخبر إلى الإنشاء ثلاثة عشر مرة بأدوات مختلفة وهي:الهمزة، أن ا، هل، كيف ما، أي وهي وإن وضعت للاستفهام، لكنها قد خرجت عنه لتحقيق أغراض بلاغية أخرى كالتقرير النفي الإنكار والتعجب، إلخ....

[1] ينظر الصادق خليفة راشد، دور الحروف في أداء معنى الجملة، منشورات جامعة قاريونس، بنغاري، ط1، 1966 ص33.

1:التقرير:

ويقصد به:حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف، فأنت لا تستفهم منه أفعل أم لم يفعل بل تريد أن تعلمه بأنه هو الفاعل فإذا قلت أنت فعلت ذلك، كان غرضك أن تقرر بأنه الفاعل على سبب التحقيق والتثبت ففي قوله تعالى:"أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا." يوجه الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، بأسلوب الاستفهام بالهمزة، التي هي أكثر أدوات الاستفهام ورودا في السورة وهو استفهام تقريري يؤكد الرؤيا الصالحة من النبي صلى الله عليه وسلم فإن معنى أرأيت –لقد رأيت– والمقصود منه لفت الذهن إلى معرفة هذه القصة أو نذكرها أن كان عالما بها. [1] فالهمزة في كلمة أفرأيت تجعلنا ندرك حقيقة هذا التوصيف وما ينتجه من التوظيف الدلالي لإمكانات اللغة في هذا السياق.

ومثله الاستفهام في قوله تعالى:" أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا "[2]

أي قبضناهم وجعلناهم قرناءلهم متسلطين عليهم وأدى الاستفهام هنا وظيفة النفي، ومثله شائع في كلام العرب يجعلون الاستفهام على نفي فعل المراد حصول ضده يحث المخاطب على الاهتمام بتحصيله أي كيف تر ذلك؟[3]

[1] ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، ج16، مطبعة الدار، التونسية ، 1435، ص109.

[2] مريم الآية83.

[3] المصدر نفسه، ج16، ص165.

ويرد الاستفهام التقريري ليصور حال الجاحدين اللذين يتوهمون أن الفقراء في الدنيا لا يمكن أن يكونوا أول المهتدين، متوهمين أن الفضل سعه الرزق وكثرة المال [1]، ورد ذلك في قوله تعالى:"وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ [2]

فجاء الاستفهام ب"أي" التي هي سؤال عن تصور حقيقة البعضية، والمعنى، أنحن أم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أفضل؟ودل استفهامهم على التقرير إذ هم يريدون من المؤمنين أن يقروا لهم بخبريتهم حالا، وأحسنتهم مثالا مما لا يقبل الإنكار وإن ذلك كرامتهم على الله سبحانه.

وفي قوله تعالى:" رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [3] برز غرض التقرير مع النفي، من خلال الاستفهام ب"هل" قال ابن عباس:" يريد له ولدا أي نظيرا أو مثلا أو نسبا يستحق مثل اسمه "هل"بمعنى "لا" أي لا تعلم أي أنه لا سمي له سبحانه.[4]

ثم جيء بالنفي بطريقة الاستفهام أقوى دلالة من نفي المجرد، لأن النفي بالاستفهام فيه معنى أن المخاطب سيق إلى النفي من القائل والإقرار به من المخاطب، ونظيره الاستفهام ب"هل"

[1] أبو زهرة الإمام محمد، المعجزة الكبرى القرآن، ص215.

[2] سورة مريم الآية 73.

[3] سورة مريم الآية 65.

[4] القرطبي، الجامع للأحكام القرآن، ج3، مطبعة دار أحياء التراث العربي، تح عبد القادر محمد بن العماري، ص130.

في الآية:وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ [1] أي لا تحس منهم أحدا ولا تسمع لهم صوتا مما يدل على انقراضهم وفنائهم بالكلية.

3:الإنكار:يعني غرض الإنكار أن تنكر على المخاطب وتستهجن منه ما حدث لتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فتخجل وترتدع ويعني بالجواب، ومنه الاستفهام بـ:"كيف" في قوله تعالى:" فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ [2] الذي جاء من قبل قوم مريم على سبيل الإنكار عليها حيث أشارت إلى طفلها عيسى-عليه السلام- ليكملوه فغضبوا وتعجبوا فكيف لهم أن يكملوا من في المهد وهو ليس لـ: القدرة على التكلم وكيف لهم أن يلقوا عليه السؤال وينتظرون منه الإجابة لأن هاتان الحالاتان تعقبان التكلم، [3]وجاء غرض الإنكار في الاستفهام بـ"لم" التي تتكون من اللام الجارة، وما الاستفهامية في قوله تعالى:" إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ [4]فقد أراد إبراهيم عليه السلام من سؤاله لوالده على فساد عبادته للأصنام، إذ كان عليه أن يتوجه بعبادته لخالقه الذي يملك الضر والنفع لا إلى ما هو دون الإنسان بل ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان، لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضرا، ولا نفعا، وكان غرض إبراهيم عليه السلام من هذا الاستفهام طلب من والده التفكير ومراجعة نفسه كما فيه دفع للتأمل.

---

[1] سورة مريم الآية 98.

[2] سورة مريم الآية 29.

[3] ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، مطبعة الدار التونسية، 1435، ص97.

[4] سورة مريم الآية 42.

أما في قوله تعالى:" قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ [1]فجاء الاستفهام بالهمزة إنكارا لترفع ابراهيم عن عبادة الأصنام.

وورد الاستفهام بمعنى الج حد والإنكار على لسان الكافر في قوله تعالى: "وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ [2]حيث أدى الاستفهام في قوله "إذا ما مت؟"وظيفة في تبيان المعنى وهي جحود وإنكار لتحقيق وقوع البعث، وتحس بنوع من السخرية في طريقة إنكار هذا الكافر فجاء استفهام هفيه نوعا من الاستغراب وظف الاستحالة، ومفيدا معنى النفي ومفيدا للتكذيب والاستعباد والسخرية وللتعجب.

وقد تبعه رد للقرآن مباشرة في قوله تعالى:" أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ [3]وأفاد الاستفهام (هنا) الإنكار وللتعجب من إنكاره ليوم البعث فكان الله يجيبه أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الأولى حتى لا ينكر النشأة الأخرى. وما كان لنا أن نفهم ذلك لولا الوظيفة التي أداها الاستفهام.

[1] سورة مريم الآية 46.

[2] سورة مريم الآية 66.

[3] سورة مريم الآية 67.

ومن الاستفهام الإنكاري قوله تعالى:" أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ [1]

فقوله تعالى:أطلع الغيب الألف ألف استفهام لمجيء أم بعدها ومعناها التوبيخ.[2]

3:التعجب:

والاستفهام هنا يجيء على لسان المؤمنين يستعملونه عن تحقق أمر الله دون إنكارهم له.

وورد معنى التعجب في الاستفهام بـ"أن" مرتين في السورة أحدهما في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ [3]

وهذا استفهام من زكريا عليه السلام، حيث أجمع كل العلماء على نفس بمعنى الإنكار أو الشك من استفهامية فإن القول بهذا كفر وهو غير جائز على الأنبياء عليهم السلام.[4]

ويحق لنا أن نسأل عن سبب استفهامه عليه السلام عن مجيء الولد وقد طلب نفسه

فإن قلت: لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة الكبر والعقر، فقد رأى بعض العلماء أن استفهامه

---

[1] سورة الآية 67

[2] القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ج11، مطبعة دار أحياء التراث العربي، تح عبد القادر محمد بن العماري، ص147.

[3] سورة مريم الآية 8.

[4] الرازي، التفسير الكبير، ج21، مطبعة دار العلمية، 1981/1401، تح سيد عمران، ص187.

كان حول الصيغة التي سيرزق بها الولد وليس هذا باستبعاد بل هو استكشاف أنه بأي طريقة يكون؟أو كيف وهو وامرأته بتلك الحلل أم يحولان الشيب؟[1]

ونجد أن استفهامية عليه السلام كانت انفعالا طبيعيا يتفق مع الطبيعة البشرية، كما أن في سؤال زكريا عليه السلام استجلاب المزيد من التفاصيل المفرحة لدليل أنه طلب بعد ذلك اية على تحقق البشرى.

وقد صور الله سبحانه الصلاة صورة شيء غال ونفيس يهمله أصحاب الشهوات والضلال في قوله تعالى:"**قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا** [2] فلم حرف نفي وأدت وظيفة استفهام.

ومعنى أضاعوا الصلاة أي فرطوا في الصلاة الناهية عن الفحشاء والتي هي طهر للأبدان فكانوا سواها أضيع.

ومنه نخلص بفائدة وهي تنوع دلالات الاستفهام في سورة مريم.

[1] أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير القرآن الجليل، ج3، تح علي عبد الباري عطية، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، 1415، ص154.

[2] سورة مريم الآية 9.

المبحث الثالث:السياق ودلالة الكلمة

-مفهوم الكلمة:

الكلمة هي القطعة التي تندرج في المستوى الأول من التقطيع المزدوج حيث أن أصغر قطعة يصل إليها التحليل مما يدل على معنى وقد نعثر على تسميات عديدة لهذه الوحدة اللغوية:العنصر الدال، الوحدة المعنوية.

وتسمى الكلمة في اللسانيات الحديثة عند الفرنسيين أمثال مارتيني monème المونيم وعند اللغويين الأمركان morphèmeالمورفيم.[1]

والكلمة سلسلة من الأصوات مركبة تركيبا مخصوصا دالة على معنى الوضع، تعد العنصر الأساسي الذي تبنى عليه الجملة العربية، وقد تكون اسما أو فعلا أو حرفا وهذه العناصر هي مقومات الكلام العربي ففي انتظامها وتعالقها مع بعضها وفق نظام يحكمها وبمراعاة قواعد تضبطها تتشكل لدينا الجملة، وإن الجملة هي اللفظ الدال على المعنى بالوضع.[2]

ولكل مفردة أو كلمة معنى تحمله بذاته ومعنى تكتسبه من خلال السياق الذي وضعت فيه من أجل تأدية هذا المعنى ومن خلال مجاورتها لباقي المفردات وكما يقول اللساني الفرنسي مبيه:"إن الكلمة الحقيقية هي الكلمة في السياق"وكذا الفيلسوف الألماني فتجنشتاين:" لا تبحث عن الكلمة بل ابحث عن استعمالها."[3]

[1] خولة طالب ابراهيم، مبادئ اللسانية، دار القصبة للنشر، الجزائر2000، ط2، ص82.

[2] ينظر عمار الساسي اللسان العربي وقضايا معاصرة، دار المعارف، 2000، ص131.

[3] ينظر كريم زكي حسين، التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، دار غريب، ج2، القاهرة، 2000، ص112-126.

-الدلالة السياقية للكلمات في سورة مريم:

لا يصح الاعتماد على مجرد النظرة الفردية في كل كلمة دون معرفة مواقعها في السورة، وفي المعنى العام الذي يسلكها، لأنها اللفظة في حد ذاتها لا قيمة لها، وإنما هي تستمد قيمتها من السياق الذي ترد فيه، فهو الذي يمنحها دلالتها المميزة، من خلال موقعها في النص وعلاقتها ببقية عناصر الجملة.

أولا: سمات الألفاظ ومميزاتها في السورة:

إن المتأمل في معاني السورة يتعجب من هذه الدقة التي تميز ألفاظها، بحيث تؤدي المعنى بطريقة فريدة، وكأن هذه الألفاظ ما خلقت إلا لهذه المعاني.

1:الدقة في الاختيار:

وهذه سمة عامة، وميزة بارزة تتذوقها في كل ألفاظ القرآن الكريم، فإنك تجد أن اللفظ قد وقع في مكانه المناسب، وعبر عن المعنى المطلوب تعبيرا دقيقا، وتتجلى هذه الميزة في مظاهر عديدة في السورة منها:

أ:لا يمكن استبدال لفظ بغيره دون أن يختل المعنى:

وهنا نأخذ لفظ(عتيا)، الذي ورد على لسان زكريا عليه السلام حين تساءل:كيف يرزق الولد وهو في هذه السن المتقدمة من العمر؟في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ مريم 8[1]

[1] :سورة مريم الآية:8

والعتي المبالغة في الكبر أو يبس العود أو شيب الرأس [1]، وهي مشقة من الفعل عتا وعتا الشيخ عتيا وعتيا، فتح العين:أسن وكبر وولى، ومن معانيها أيضا:تجاوز الحد والتمرد والخروج عن السيطرة، وجاء هذا المعنى في قوله تعالى في السورة نفسها:" ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ مريم 69.وبذلك تكون كلمة العتي أدت وظيفتها في تبيان المعنى المرجو دون غيرها من مرادفاتها.

وجاء في اللسان عتا استكبر وتجاوز الحد.

وهكذا يرتبط معنى الكلمة بالاستكبار المقترن بالعصيان والتمرد والخروج عن الطاعة ولذلك وبسبب هذا العتو، استخدم سبحانه كلمة لننزعن التي تدل على الجذب بقوة وشدة وعنف، وهي تقابل العتو وهو التكبر والتجبر ومجاوزة الحدّ.

وقد التفت الرماني إلى معنى التمرد في كلمة العتي حين فسر قوله تعالى:" وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ الحاقة6

قائلا:"حقيقته شديدة، والعتو أبلغ منه، لأن العتو شدة فيها تمرد" [2] وهكذا فلو قال زكريا عليه السلام: لقد شخت أو كبرت، ما سدّ ذلك مكان(عتيا)، ولما عبر بهذه الدقة المتناهية عن حالة الهرم، كما عبرت عنها(عتيا) ولنأخذ لفظ(مديا)، الذي ورد في قوله تعالى:" وَإِذَا تُتۡلَىٰ

[1] الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، تح عبد السلام ، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993/1413، ص6.

[2] الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، ص87.

عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ مريم 73.

وهو يعني:"مجلسا ومجتمعا، وفي البحر هو المجلس الذي يجتمع فيه لحادثة أو مشورة" [1]ولذلك سميت دار الندوة بهذا الاسم لأن المشركين كانوا يتشاورون فيها في أمورهم، وناداه جالسه في النادي.[2]

ولنتأمل في دقة اختيار السورة لهذه اللفظة، دون غيرها من الألفاظ المرادفة لها كـ(مجلسا محفلا، مجتمعا) فليس لأي من هذه الألفاظ معنى قوة الأواصر، وعلاقات القربى كما (ندیا) التي تدل على مزيد من الوحدة والتكاثف لأن الندى"هو المجلس للأهل، ومن ثم قيل:هو أنطقتهم في الندى ولا يقال في المجلس إذا خلا من أهله ندى، وقد تنادى القوم إذا تجالسوا في الندى." [3]فانظر على الوظيفة التي أدتها كلمة نديا وكيف أنها ساهمت في زيادة النص جمالا ورونقا.

ففي الكلمة طاقات تعبيرية كبيرة إذ تلمس فيها معنى المجلس الذي يضم الأهل، والمعنى الصوتي المتمثل بالنداء والصورة المخيلة المتحركة لقوم يكثرون عند سماعهم النداء فهذه لذلك أكثر حيوية، وأنسب للتعبير عن غرض التفاخر والتباهي.

ولنتأمل كذلك في اختيار السورة للفظ(بغيا) للتعبير عن معنى الزانية، وذلك في قوله تعالى على لسان مريم عليها السلام:" ولم أك بغيا"مريم 20، ومرة على لسان قومها وهم يخاطبونها لائمين لها:"وما كانت أمك بغيا" مريم 28.

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثماني، ج15، القاهرة، مكتبة دار التراث، ص125.

[2] القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ج11، مطبعة دار أحياء التراث العربي، تح عبد القادر محمد بن العماري، ص142.

[3] أبو الهلال العسكري، الفروق اللغوية، تح حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص253.

ولم يأت التعبير " ولم أك زانية" لأن كلمة (زانية) لا تفي بالمقصود، ولا تؤدي وظيفة كلمة بغيا فهي تدل على صفة من تفعل الزنا وترتكب الفاحشة فحسب، أما (بغيا) فقد اشتملت على دلالات أخرى إضافية.

كما أن كلمة "بغيا" أسهمت في انسجام –فواصل الآيات– الجوانب الثلاثة لمعناه وهي:

1:المعنى الأساسي أو المركزي

2:المعنى التطبيقي أو السياقي

3:المضمون العاطفي أو الانفعالي[1]

فالمعنى الأساسي أو المركزي للبغي هو الفساد وتجاوز الحد ومعناه التطبيقي أو السياقي هو الزنا ومضمونه العاطفي أو الانفعالي التنفير من فعل الزنا.

ومن الأمثلة أيضا على دقة المعاني التي تؤديها ألفاظ السور، كلمة (رزقهم) في قوله تعالى:"ولهم رزقهم بكرة وعشيا"مرم 62، فلو استبدلنا بها كلمة غذاؤهم لم تسد مسدّها، وذلك لأن(الرزق) أعم من الغذاء وأشمل فهو لذلك يحمل من النعيم ومن الخيرات لأهل الجنة أكثر مما يحمله (الغذاء).

كذلك فإن الرزق ملك لصاحبه، أما الغذاء فقد لا يكون كذلك، فالرزق"اسم لما يصلك صاحبه الانتقاع به، فلا يجوز منازعته فيه لكونه حلالا له، ويجوز أن يكون ما يغتذ يه الإنسان حلالا وحراما، إذ ليس كل ما يغتذ به الإنسان رزقا له"[2]

[1] أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، تر كمال بشر، مكتبة الشباب، ط10، 1986، ص115.

[2] أبو الهلال العسكري، الفروق اللغوية، تح حسان الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص137.

ومن خلال الأمثلة كذلك كلمة "رطبا" التي وردت في سياق الآية:" وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ مريم 25

فالرطب هو نوع خاص من التمر يكون غضا طريا.

ولما كان الغرض هنا هو التخفيف عن مريم عليها السلام، ودفع هموم ها وأ حزانها فإن الشقاء يدفع بالنعيم، وإن القسوة تدفع بالليونة، ولنتأمل كلمة"رطبا" بما تدل عليه من الطراوة والنعومة، وما أدته من وظيفة في تبيان المعنى المرجو وهو تخفيف تلك القساوة والخشونة عنها.

ولذلك لم يقل –سبحانه– أنها أعطيت تمرا وإنما أعطيت رطبا، إذ لا يمكن أن يسقط التمر من النخلة وإنما الرطب هو الذي يسقط.

ثانيا: الدلالة السياقية لفعل الكينونة:

1:الدلالة على دوام الحال في الماضي للبحث على استمراره:

قوله تعالى:"ولم أكن بدعائك رب شقيا"مريم4.

إذا أراد أحدنا أن يطلب حاجة فعلية أن يمهد لطلب تلك الحاجة ويهيء الأرضية المناسبة والأجواء اللازمة ليحث الآخر على الاستجابة لطلبه، ولذلك وقف المفسرون عند قوله تعالى في نبة زكريا عليه السلام:" كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ مريم 1-4.[1]

[1] :سورة مريم الآية:1-4.

ليستنتجوا منها مجموعة من المقدمات التي يراها زكريا عليه السلام ضرورية بجعل الدعاء في أعلى مراتب الأدب ولاستدرار الاستجابة أولها هي كون الدعاء خفيا لأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة، وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار، وعمدة الدعاء الانكسار والتبري عن حول النفس وقوتها، والاعتماد على فضل الله تعالى وإحسانه، وثانيها إظهار الداعي خضوعه وإقراره بضعفه وعجزه عن استجلاب الخير أو دفع الضر من دون عون الله وتوفيقه، وثالثها:ذكر نعم الله السابقة عليه، وهذه وسيلة حسنة أن يتشفع إليه بنعمه، ويستدر فضله بفضله.[1]

وقد ذهب أغلب المفسرين إلى أن معنى(ولم أكن بدعائك رب شقيا):أنني لم أشق يوما، أي لم أتعب بردك دعائي فقد عودتني على الإجابة ولم تخيبني يوما، وأن اليوم في هذا الحال أحوج ما أكون إلى استمرار تلك النعمة الفضيلة.[2]

وبذلك لم تقتصر دلالة فعل الكينونة المسبوق بحرف النفي(لم) على إفادة نفي حصول الفعل في الماضي، بل أفاد في سياقه التمهيد للإجابة عن طريق طلب استصحاب الحال السابقة واستدراك المدعو وحثه على إدامة الحال السابقة.

2:الدلالة على اتصاف الفاعل بالفعل في الماضي المقتضي حتما اتصافه به في الحاضر:

قوله تعالى:"قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا[3]

[1] ابن العربي، أحكام القرآن، تح الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ص3-247.

[2] ينظر ابن جرير الطبري، جامع البيان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1995/1415، ص16-58.

[3] سورة مريم الآية 8.

بعد دعاء زكريا ربه بأن يهب له وليا يرثه ويرث من آل يعقوب جاءت استجابة الدعوة وبشره الله تعالى بأنه وهبه غلاما اسمه"يحيى" فدهش زكريا عليه السلام بحصول هذا الأمر لانقطاع أسبابه الطبيعية.

ودل استعمال فعل الكون بصيغة الم اضي في دلالة قطعية على أنها كانت عاقرا حينما كانت أسباب الولادة متوافرة إذ لا مانع طبيعي منها، فلا شك إذ في أن يكون الحمل أكثر امتناعا وأبعد

حدوثا حينما كبر الزوجان وانقطعت الأسباب الطبيعية للإنجاب

قال الطبرسي(ت548هـ)"أي:كانت على صفة العقر حين أن شاب وكهل، فما رزقت الولد لاختلال أحد السببين أو حين اختل السببان جميعا أرزقه؟!"[1]

ومن هذا نخلص أن الدلالة السياقية لفعل الكينونة في هذا الموضع هي إثبات اتصاف الفاعل بفعله في الماضي الموجب وجوبا حتميا استمرار الحال، بل إنه أدعى للثبوت الآن لزيا دة مسوغات وجوده.

3: الدلالة على حتمية الوقوع في المستقبل:

قوله تعالى:" جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ [2]

[1] الطبرسي، جوامع الجامع، تح مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1418، ص444.

[2] سورة مريم الآية 61.

يرى الشيخ الطوسي أن استعمال فعل الكون بصيغة الماضي في مثل هذا الموضع يعبر عن حتمية الوقوع، كأنه وقع وتحقق الوعد في المستقبل.[1]

ومن هذا نستنتج أن فعل الكينونة في سورة مريم جاء لأغراض متعددة يحددها السياق الذي ترد فيه، وتوجه معناه مجموعة الظروف المحيطة بالنص، ولمعرفة المعنى الدقيق الذي أفاده فعل الكينونة لابد من تفحص النص ومعرفة أسباب النزول ومناسبة الخطاب ونوع المخاطِب والمخاطَب وربط أجزاء الكلام ومعرفة السابق واللاحق وغيرها من الظروف التي تعين على معرفة دلالة الفعل وسر استخدامه في السياق.

المبحث الرابع:أثر السياق في تحديد بعض الظواهر اللغوية(المشترك اللفظي والترادف)

-أثر السياق في تحديد المشترك اللفظي:

أولا:تعريف المشترك اللفظي لغة واصطلاحا:

1:تعريف المشترك اللفظي لغة: يعني المخالطة والمقارنة ومنه قوله تعالى:"وأشركه في أمري"طه 32 ويقال:اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، ومنه:فريضة مشركة:يستوي فيها المقتسمون، وطريق مشترك:يستوي فيه الناس، واسم مشترك:تشترك فيه معان كثيرة.

2:اصطلاحا: فهو اللفظ الواحد الذي يطلق على معان مختلفة ليس بينها ما يجمعها، فهو ما يفهم من قول سيبويه:"أعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك:وجدت عليه من المتواجدة.

[1] ينظر الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ، تح أحمد حبيب قصير للعاملي، دار إحياء التراث العربينط1، 1409، ص10-168.

وعرفه السيوطي بقوله:"اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة."[1]

وبناءا على هذه التعريفات، فإن كل لفظ يدل على معان عدة شرط أساسي في حصول الاشتراك لأن المشترك اللفظي الحقيقي، إنما يكون حين لا نلمح أي صلة بين تلك المعاني، سواء أكانت هذه الصلة معنوية أم بلاغية، وإلا تحول هذا الاشتراك إلى مجاز.

ثانيا: أثر السياق في تحديد المشترك اللفظي في سورة مريم:

1:الحجة والبرهان:

فقد يرد اللفظ الواحد في سياقات مختلفة، وتكون بعضها داعمة في معانيها للسياقات الأخرى، وذلك من خلال ما تتسم به من معان واضحة القوة، ساطعة الدلالة على قدرة الله سبحانه ومثال ذلك كلمة(آية) التي وردت مفردة ومجموعة في السورة بمعان متباينة مرات عدة فجاءت في قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ مريم 10

بمعنى علامة أو إشارة دالة على حمل امرأته .

وجاءت آية بمعنى قريب من معنى المعجزة، فيكون ما يقدمه النبي من الخوارق آية، وتكون دليل وعلامة على صدق نبوته، كما في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام:" قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾

مريم 21

[1] أبو بكر السيوطي، المزهر في علوم اللغة، تح محمد جواد المولى، بيروت، ص369.

أي علامة دالة على كمال قدرته.وإنه تعالى يخلق ما يشاء كيف يشاء:إن شاء خلقه من أنثى بدون ذكر كما فعل بسيدنا عيسى عليه السلام.

ووردت بمعنى كلام الله أو آيات القرآن، كما في قوله تعالى:" أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ مريم 58.

أي إذا سمعوا آيات ربهم تتلى تأثروا تأثرا عظيما، يحصل منه لبعضهم البكاء والسجود، ومثلها قوله تعالى:"وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ مريم73.

أي إن كفار قريش كانوا إذا تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات من القرآن عارضوها، وصدوا عنها، وكذلك جاءت بالمعنى نفسه في قوله تعالى:" أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ مريم77[1]

من خلال هذه السياقات المختلفة لهذه الكلمة، اكتسبت كلمة(آية)التي هي بمعنى كلام الله مزيدا من الحجة والبرهان والقوة والبيان لأن ما جاء من كلام الله في القرآن الكريم، إنما هو (آيات) دالة على قدرته وو حدانيته، ساطع الدلالة في برهانه وحجته، مثل(آية) ومعجزة خلق

[1] :سورة مريم الآية:77.

عيسى عليه السلام من أم دون أب وتكلمه في المهد وهو صبي. كما أن تعدد معاني الكلمة جعل وظائفها تتعدد وكل ذلك من خلال تعدد السياق الذي وردت فيه.

2:أهمية الفعل:

كذلك تعدد معاني اللفظ الواحد يحيل-أحيانا- على التنبيه على خطورة مدلول هذا اللفظ وإعلاء نشأته، وإنه ليس أمرا هامشيا، أو حدثا عابرا، وإنما ينبني عليه كثيرا من النتائج لأهميته.

ونجد ذلك في الفعل (دعا)إذ دلت معانيه المختلفة في السورة على أهمية الدعاء وخطورته لكونه متصلا بأفطر موضوع جاء به القرآن، وهو إفراد الله وتوحده بالألوهية والعبودية .

وجاء بمعنى الطلب من الله ورجائه كما ورد في الآية: قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ مريم 4 والمقصود بدعائي إياك.

وورد الفعل(دعوا) بمعنى نسبوا أو سموا كما في قوله تعالى:" أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا "مريم91

وورد الفعل(تدعون)بمعنى تعبدون في الآية: وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ مريم 48[1]

[1] :سورة مريم الآية:48.

"وادعوا ربي"أعبده وحده، وعبر عن العبادة بالدعاء، لكون الدعاء أخص مظهر من مظاهر العبادة، ولكونه أحد تجليات المهمة، ولأنه منها، ومن وسائطها.[1]

تدل هذه المعاني المختلفة لفعل(الدعاء) في السورة:من طلب العون إلى العبادة، إلى نسبة الولد إليه–سبحانه– على خطورة هذا الفعل، من حيث كونه يرتبط بالعقيدة وبمعنى التوحيد ويتعلق بالشعائر الدالة على الإيمان أو الكفر، فهو من ثم لبس كأي كلمة هامشية.

3:انسجام المؤمنين مع عناصر الكون في عبوديتهم لله:

ترد بعض الألفاظ أو الأفعال في سياقين مختلفين، ويكون لورودها معنى عميق وفكرة مهمة فالفعل (خرّ)، ورد في سورة مريم مرتين، وجاء مرة مع المؤمنين بمعنى سجد في قوله تعالى:"وخرو ا سجدا وبكيا"مريم 58.فالمؤمنين عند تلاوة آيات الله يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وحذرا وخوفا.

وفي آية أخرى مع الجبال، بمعنى سقط وانهدّ في قوله تعالى:"وتخر الجبال هدا"مريم 90، فهي تتساقط أشد ما يكون وإذا قارنا بين المؤمنين كيف يهبطون ساجدين لله خشوعا وتأثرا مما سمعوا من آياته سبحانه وبين الجبال كيف تنهد من علو متحطمة غضبا على افتراء الكافرين، الذين أنسبوا الولد لله سبحانه.[2]

[1] عبير محمد ماهر الجبوري، مجلة الأستاذ، العدد 220، المجلد الثاني، 2017، ص479.

[2] عبير محمد ماهر الجبوري، مجلة الأستاذ، العدد 220، المجلد الثاني، 2017، ص480.

4:التبشير بالمصير:

ومن ذلك كلمة(اللسان) التي جاءت مرتين في السورة في سياقين مختلفين، وردت مرة بمعنى اللغة، في قوله تعالى:" فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا "مريم97

ووردت بمعنى الثناء في قوله تعالى:" وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا"مريم50

وقد وردت في كلتا الآيتين، بمعنى إيجابي، ففي الأولى كان اللسان بقدرة الله في سياق مكافأة الأنبياء المذكورين بالذكر الحسن بين الناس نتيجة لصلاحهم وحسن إيمانهم.

وقد جاء الفعل(جعل) بمعان متعددة، ففي قوله تعالى:" قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ مريم10أخذ معنى هيئ.

وجاء بمعنى تص يير الشيء على حالة معينة في الآيات: يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ مريم 6"وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾"مريم32 [1]

وقال:" قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ مريم30-31

[1] :سورة مريم الآية:32.

وقال تعالى:"فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ مريم 49.

وجاء بمعنى أوجد في قوله تعالى:" يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ مريم 7 أي لم نوجد قبله من يتسمى باسمه.

وجاء بمعنى يخلق في الآية:"إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ مريم 96أي يخلق لهم في صدور المؤمنين مودة يغرس لهم فيها محبة.

وجاءت أيضا –في سياق يظهر معجزاته–سبحانه– والعلامات الدالة على سعة قدرته وشمولها، كما في هاتين الآيتين: "قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ "مريم21 "فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ " مريم24[1]

الآيتان تتحدثان عن معجزة خلق عيسى عليه السلام وفي الأولى شاء أن يجعله عيسى عليه السلام علامة دالة على كمال وسعة قدرته، وفي الثانية جعل الله تحت مريم نهرا جاريا إكراما لها، أو جعل تحتها فتى سيدا هو عيسى عليه السلام. [2]نخلص أن اختلاف وظيفة الكلمة أدى إلى اختلاف المعاني تبعا للسيق التي ورد فيها.

[1] :سورة مريم الآية:24.

[2] عبير محمد ماهر الجبوري، مجلة الأستاذ، العدد 220، المجلد الثاني، 2017، ص481.

-أثر السياق في تجديد الترادف

أولا:تعريف الترادف

يعنى به تعدد الألفاظ بمعنى واحد، أو دلالة عدة كلمات مختلفة تدل على مسمى واحد [1]

ومنهم من عرفه:بأن يدل لفظان مفردان فأكثر دلالة حقيقية أصيلة، مستقلة، على معنى واحد باعتبار واحد، وفي بيئة لغوية واحدة.[2]

ثانيا:أثر السياق في تحديد الترادف في سورة مريم:

ورد في السورة (عصيا)(شقيا) تكاد تتشابه هاتان المفردتان في أنهما تدلان على الانحراف والشقاء وسوء التصرف والبعد عن الحق، كما أنهما تختلفان في دوالهما، وإن تكرر اللفظ الواحد منهما أكثر من مرة على مساحة النص، وهذا يبعث على أهمية ما توحي به، فهي زجر وردع للكافر العاصي واعتبار للمؤمن التقي.

وورد في السورة(تنشق)(يتفطرون)، الانفطار والانشقاق شبيهان في المدلول مختلفان في الدال وإن خص الله عز وجل الانفطار بالسماوات والانشقاق بالأرض.والله عز وجل قد صور هنا فداحة ما ينطق به الكفار والمشركون بأن لله عز وجل "ولد" سبحانه وتعالى عما يقولون، فقد بين الله عز وجل وكأن للجماد شعورا وحياة وإحساسا، إذ السموات والأرض ستنشق من هول ما يقولون وورد في قوله تعالى(أحصاهم)(وعدّهم)

[1] هيا جنة محود، الايضاح في الترادف، دار الكتاب، الأردن، 2001، ط1، ص8.

[2] بوبو مسعود، الترادف والاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، جامعة دمشق، رسالة ماجستير،1996، ص24.

قال صاحب "مجمع البيان في تفسير القرآن"في تفسيره هذه الآية:"أي علم تفاصيلهم وأعدادهم، فكأنه سبحانه عدهم، إذ لا يخفى عليه شيء من أحوالهم."[1]

وهذا يظهر لنا أن الإحصاء والعد مدلولها واحد، وإن اختلفا في اللفظ.

[1] الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تح السيد هاشم الرسولي، دار المعرفة، ج5، ص822.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما تم انجازه نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إن دراسة السياق والدلالة إنما هي دراسة عربية المنشأ وإن لم تكن عربية من حيث التنظير والتسمية النهائية التي استقر عليها علماء اللغة المحدثين.
- يمكن أن يؤخذ على الغربيين أنهم تطرفوا كثيرا في النظر إلى السياق وحكمه على المعنى.
- أسهمت الدراسات اللغوية العربية الحديثة في إبراز جهود اللغويين القدامى في مجال الدلالة، ولم ينكر والإضافة العلمية في علم الدلالة الحديث، وآفاق الاستفادة منها.
- تناول اللغويون العرب القدامى الدلالة في مؤلفاتهم، لكن لم يعالجوها علاجا مستقلا وإنما يتناولوها دائما مختلطة بغيرها من البحوث.
- كان لعلماء العربية إسهام فقال في الدراسات الدلالية خصوصا واللسانية بمصطلح اليوم عموما وهو جهد بدا بجلاء في مؤلفاتهم حيث قاموا بوضع الأساس للدراسات الدلالية، حيث رسموا خطتها الأولية، ثم جاءت الأجيال اللاحقة لتثميرها وإتمامها ورفع بنائها، وبذلك فهم يستحقون فضل الأسبقية في التطرق لنظرية الحقول الدلالية وفكرتها وتطبيقها، وإن لم يطلقوا عليها هذا المصطلح.

- ولعل أنضج محاولة، بل المحاولة التي تمثل مدخلا إلى علم الدلالة، يعتبر أول كتاب يخصص بالدلالة، هي تلك المحاولة التي سطرها أبرز اللغويين العرب المحدثين من مثل الدكتور ابراهيم أنيس بكتابه"دلالة الألفاظ".
- أنواع السياق متعددة وعناصر سياق الحال مهمة في توجيه الدلالة الوظيفية مثلها مثل عناصر السياق السياق اللغوي.
- بدايات المنحى الوظيفي تعود إلى الدرس اللساني(مدرسة براغ والمدرسة الفيرثية)ومن أهم أعلام العرب الذين نحو المنحى الوظيفي:أحمد المتوكل، تمام حسان.
- النحو الوظيفي هو الذي يراعي معايير انجاز الكلام في طبقات مقامية، وعليه فالدرس التداولي أساسي في وصف اللغة وتفسيرها.
- التداولية هي علم الاستعمال ضمن السياق أو طرائق استعمال العلامات ضمن السياق.
- مصطلح التأويل من المصطلحات التي جرت على ألسنة العلماء وشاع استعمالها إما بلفظها أو بدلالتها، وظل التأويل مرادفا للتفسير منذ بدأ كتاب الله بالشرح والفهم كما تعلق التأويل بالسياق وبالدلالة في البحث عن معاني الخطاب سواء في ألفاظه أو تراكيبه.
- إن لسورة مريم مكانتها في معناها ودلالتها، وفي حروفها وألفاظها، وفي جملها وأساليبها، الأمر الذي جعلها مناط الدراسة.
- الدلالة الوظيفية للصوت أكسبت السورة جمالا إيقاعيا رائعا.
- تنوعت الدلالة الوظيفية للحرف في السورة وخاصة أدوات الاستفهام.

- دور السياق في سورة مريم ساهم في تحديد كل من المشترك اللفظي والترادف.

وما اختم به بحثي هو الإجابة عن الإشكالية المطروحة وهي أن لكل من السياق والدلالة الوظيفية والتداولية والتأويل فوائد في الكشف عن معنى النص القرآني وتماسكه ففي سورة مريم نجدهم أكسبوها لحمة واحدة.

ملخص

ملخص:

لقد ارتبط السياق بجهود كثير من علماء اللغة قديما وحديثا، حتى صارت نظرية متكاملة على يد العالم الانجليزي"فيرث" وقد اهتم علماء اللغة قديما بالسياق ومدى تأثيره على المعنى،من دون إهمال للظروف المحيطة بالحدث الكلامي،ومن خلال ربطهم لفكرة "المقام" و"المقال"، فقد وجدوا أن اللفظ المجرد من سياقه لا يكشف المعنى،وقد ظهر ذلك عند أهم رموزه.

كالجاحظ، ابن جني والجرجاني، الذي أبدع نظرية النظم التي قامت على دراسة السياق، وبذلك يعد محورا رئيسيا من محاور علمي الدلالة والتداولية لأنه يساعد على تحديد مدلول العبارات والنصوص ويساهم كذلك في توليد الوظيفة المرجعية للكلام.

ونظرا لأهمية السياق فنجده يرتبط ارتباطا وثيقا بالتأويل، إذ يساعد في تفسير النصوص القرآنية وعلى هذا الأساس اعتمدت عليه الدراسة في تحديد الدلالة الوظيفية في سورة مريم وخلصت إلى أهميته في استنباط الأحكام الشرعية.

الكلمات المفتاحية:السياق، الدلالة، الوظيفة، التداولية، التأويل.

English Abstract

The context has been linked to the efforts of many linguists of old and recent, until the theory became integrated by the English world, "Firth" The ancient linguists took care of the context and its impact on the meaning, without neglecting the circumstances surrounding the verbal event, and by linking them to the idea of " The article, "they found that the word abstract from its context does not reveal the meaning, and this appeared in the most important symbols.

Kalajahz, son of Jenie and Jerjani, who invented systems theory based on the study of the context, and thus is a major axis of scientific axes of significance and deliberation because it helps to determine the meaning of words and texts and also contribute to generate the reference function of speech.

In view of the importance of the context, we find it closely linked to the interpretation. It helps in interpreting the Quranic texts. On this basis, the study relied on determining the functional significance in Surat Maryam and concluded its importance in devising the Shari'a rulings.

Keywords: context, significance, function, deliberation, interpretation.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1: القرآن الكريم

2: المصادر والمراجع:

1. ابراهيم انيس،دلالة الألفاظ،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط5، 1984.
2. ابن العربي،أحكام القرآن،تح:الشيخ عبد الوارث،محمد علي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط 1، 2000.
3. ابن جزير الطبري،جامع البيان،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1995/1415.
4. ابن جني،الخصائص،تح:أحمد علي النجار،المكتبة العلمية،مصر،دط،دت،ج1.
5. ابن دريد الجمهرته،تح:ابراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2، 2005.
6. ابن رشد،فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال،تح: محمد عمارة،دار المعارف القاهرة،دط،1972.
7. ابن عاشور محمد الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،ج16، مطبعة الدار التونسية،1435.
8. ابن محشري،أساس البلاغة،تح:محمد ياسيل عيون السود،بيروت،لبنان،ط1.
9. ابن منظور،لسان العرب،دار صادر بيروت،لبنان،ط1، 2000.
10. ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،لبنان،ج7،ط1، 2000،
11. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود،تفسير القرآن الجليل،ج 3،تح:علي عبد الباري عطية،مطبعة دار الكتب العلمية بيروت،1415.

12. أبو الحسين بن فارس بن زكريا،القزويني الرازي(ت395هـ)إمام لغوي،من أشهر مؤلفاته معجم مقاييس اللغة،الإتباع والمزاوجة،اختلاف التحوييس.

13. أبو الهلال العسكري، الفروق اللغوية،تح: حسام الدين القدسي،دار الكتب العلمية،بيروت.

14. أبو بكر السيوطي،المزدهر في علوم اللغة،تح:محمد جواد المولى،بيروت.

15. أبو زهرة الإمام محمد،المعجزة الكبرى القرآن.

16. ابو عثمان بن بحر الجاحظ،البيان والتبيين،دار ومكتب الهلال،بيروت 2002،ج1.

17. أبو نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل،المركز الثقافي،الدار البيضاء،المغرب الأقصى،بيروت ،لبنان،ط1، 2000.

18. أبي بكر الأنباري،الأضداد،تح:محمد أبو الفضل ابراهيم،وزارة الإرشاد والأنباء،الكويب،1960.

19. أحمد المتوكل،اللسانيات الوظيفية،دار الكتاب الجيد المتحدة،بيروت،ط2، 2016.

20. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين،معجم مقاييس اللغة،تح: عبد السلام محمد هارون دط، 1979/1399،دار الفكر.

21. أحمد بن فارس بن زكريا،الصاحبي،تح:أحمد حسن،بسبح،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1997/1418.

22. أحمد بن فارس بن زكريا،معجم مقاييس اللغة،تح:عبد السلام محمد هارون،دار الفكر للطباعة والنشر،ط1.

23. أحمد عبد المطلب،البلاغة والأسلوبية.

24. أحمد مختار عمر،علم الدلالة،عالم الكتب، القاهرة،1985،ط1.

25. أحمد مختار عمر،قضايا اللغة والنحو،عالم الكتب،القاهرة،1974.

26. أحمد نعيم الكراعين،علم الدلالة بين النظر والتطبيق مؤسسة الجامعة للدراسات،بيروت،ط 1 1993.

27. إدريس مقبول، الأسس الإبستيمولوجية، والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه،عالم الكتاب الحديث أريد الأردن،2005،ط1.

28. إدريس مقبول،الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة الترانية العربية،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1، 2011.

29. الألوسي،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،ج15،القاهرة،مكتبة دار التراث.

30. الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج4،تح:عبد السلام،ط1،بيروت،دار الكتب العلمية،1993/1413.

31. أنطوان صياح، تعليمة اللغة العربية،ج2.

32. أولمان ستيفني،دور الكلمة في اللغة،تر:كمال بشر،مكتبة الشبابط،1986.

33. أيوب مد الغزالي، المستصفى من علم الأصول،تح: حمزة بن زهير حافظ المدينة المنورة،ط5،دت،ج3.

34. براون وبول،تحليل الخطاب.

35. بوبو مسعود،الترادف والاشتراك، والتضاد في القرآن الكريم،جامعو دمشق،رسالة ماجستير1996.

36. الجاحظ،البيان والتبيين،تح:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الجاحظ،ط2،القاهرة،1970.

37. الجرجاني،دلائل الإعجاز،مكتبة الخانجي، القاهرة،تح:محمود شاكر.

38. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن(الخطيب القزويني)،الإيضاح في علوم البلاغة،تح:ابراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان 2003/1424.

39. جون أوستين،نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالأفعال،تر: عبد القادر قينيني،إفريقيا الشرق، المغرب.

40. حلمي خليل العربية وعلم اللغة البنيوية،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،1996.

41. خولة طالب ابراهيم،مبادئ اللسانية،دار القصبة للنشر،الجزائر،2000،ط2.

42. الرازي،التفسير الكبير،ج21، مطبعة دار العلمية 1981/1401،تح:سيد عمرات.

43. الرازي،مختار الصحاح،المكتبة العصرية،صيدا،بيروت،لبنان،دط،2003.

44. الرماني،النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز.

45. ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة العربية.

46. ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة،تر:كمال بشير، مكتبة الشباب،ط1، 1986.

47. السكاكي،مفتاح العلوم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2، 1987.

48. سميرة أستيتية،اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج.

49. سيبويه،الكتاب،تح:الأستاذ عبد السلام محمد هارون،دار الجيل بيروت،ط1،ت،ج1.

50. سيبويه،الكتاب،تح:الأستاذ عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،بيروت،ط1، دت.

51. سيد قطب في ظلال القرآن،دار الشروق، مصر القاهرة،ط17، 1992.

52. السيوطي،المزهر في علوم اللغة وأنواعها،مكتبة دار التراث،القاهرة،ج1،ط3،دت.

53. الصادق خليفة راشد:دور الحروف في أداء معنى الجملة،منشورات جامعة قاريونس،بنغاري،ط1، 1966.

54. صياجنة محمود،الإيضاح في الترادف،دار الكتاب،الأردن،2001،ط1.

55. طالب إسماعيل،مقدمة لدراسة علم الدلالة في ضوء التطبيق القرآني والنص الشعري،دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،عمان،ط1، 2011.

56. طاهر سليمان حمودة،دراسة المعنى عند الأصوليين.

57. الطبرسي،جوامع الجامع،تح:مؤسسة النشر الإسلامي،ط1، 1418.

58. الطبرسي،مجمع البيان في تفسير القرآن،تح:السيد هاشم الرسولي،دار المعرفة،ج5.

59. طه عبد الرحمن،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،المركز الثقافي العربي،المغرب،ط1 1998.

60. الطوسي،التبيان في تفسير القرآن،تح:أحمد حبيب قصير العاملي،دار أحياء التراث العربي،ط1، 1409.

61. عبد الحميد السيد:دراسات في اللسانيات العربية،دار الحامد للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،دط، 2003.

62. عبد الفتاح عبد العلم البركاوي، دلالة السياقين التراث وعلم اللغة الحديث.

63. عبد القادر حسين:أثر النحاة في البحث البلاغي،دار النهضة،القاهرة.

64. عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،تح:محمد الشاكر مكتبة الخانجي،القاهرة،2004،ط5.

65. عبد الواحد حسن:التنافر الصوتي والظواهر السياقية،دار الوفاء للطباعة والنشر،مصر،ط1999.

66. عبير محمد ماهر الجبوري،مجلة الأستاذ،العدد220،المجلد الثاني،2017.

67. علي آيت أوستان والنص الشعري من البنية إلى القراءة،دار الثقافة،الدار البيضاء(دت).

68. علي آيت أوشان،السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة،دار الثقافة،الدار البيضاء(دت).

69. علي حميد خيضر،دلالة السياق في النص القرآني،رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها،إشراف عبد الإله العنائغ،الأكاديمية العربية في الدانمارك،كوبنها جن،الدانمرك.

70. عمار السياسي:اللسان العربي وقضايا معاصرة،دار المعارف 2000.

71. عمرو بن عثمان(سيبويه)تحقيق:عبد السلام محمد هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،مصر،ط 1 1988/1408.

72. فارس عيسى، ملامح النظر النحوي الكوفي في ضوء القواعد التوليدية والتجويلة،رسالة دكتوراه،إشراف رمضان عبد التواب،جامعة عين شمس،مصر،القاهرة.

73. فان دايك،النص والسياق،استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي،ترجمة عبد القادر قينيني،إفريقيا، الشرق،2000.

74. فرنسواز أرمينكو،المقاربة التداولية،تر: سعيد علوش،المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع،سوريان ط1، 1997.

75. قرطبي،الجامع للأحكام القرآن،ج3، كطبعة دار أحياء التراث العربي،تح:عبد القادر محمد بن العماري.

76. كريم زكي حسين،التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه،دار غريب،ج2،القاهرة 2000.

77. لسان العرب،دار العرب،بيروت،لبنان،ج1.

78. لسان العرب،مادة(و.ظ.ف).

79. مجدي ابراهيم محمد ابراهيم،بحوث في علم الدلالة بين القدماء والمحدثين،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية،2014،ط1.

80. مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر،المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية.

81. مجمع اللغة العربية،معجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية،القاهرة،ط1.

82. محمد ابن أبي بكر بن أيوب(ابن قيم الجوزية)،بدائع الفوائد،تح:علي بن محمد العمران،دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،جدة السعودية.

83. محمد إسماعيل بصل وفاطمة بله،ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث،مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها،فصيلة محكمة،العدد 18، 2014/1393، جامعة اللاذيقية،سوريا.

84. محمد بن إدريس الشافعي،الرسالة،تح:أحمد محمد شاكر،مطبعة مصطفى ألباني الحلبي وأولاده،مصر،جمهورية مصر العربية،ط1.

85. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين،ابن منظور،لسان العرب،مجلد 11،دار صادر،بيروت،لبنان،ط1، 1955/1374.

86. محمد حسين آل ياسين،الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري،دار مكتبة الحياة، بيروت،ط1، 1982.

87. محمد خطابي،لسانيات النص.

88. محمد مبارك،فقه اللغة وخصائص العربية،دار المعارف،القاهرة،ط3، 1963.

89. محمد محمد يونس علي،علم التخاطب الإسلامي،دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان،دار أويا للنشر والتوزيع والتنمية الثقافية،طرابلس الجماهيرية العظمى،ط1، يناير 2006.

90. محمد يونس علي،المعنى وظلال المعنى أنظمة،الدلالة في العربية،دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان،ط2، 2007.

91. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،ط1، بيروت، 2005،دار الطليعة.

92. منال محمد هشام سعيد النجار،نظرية المقام عند العرب في ضوء البرغماتية،عالم الكتب الحديث،الأردن،ط1، 2011.

93. منقور عبد الجليل،علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،2016،دط.

94. هادي نهر،الكفايات التواصلية والاتصالية،دراسة في اللغة والأعلام،دار الفكر للطباعة والنشر،عمان،الأردن،ط1، 2003.

95. Le petit larousse role syntxique d'hnmot ou d'un groupe de mots dans

الفهرس

1:مقدمة.....أ-د

2:الفصل الأول:السياق في الدرس اللغوي.....**1-27**

المبحث الأول:مفهوم السياق لغة واصطلاحا.....2-6

المبحث الثاني:أصول النظرية السياقية.....7-23

المبحث الثالث:أنواع السياق.....23-27

3:الفصل الثاني:العلاقة بين الدلالة والوظيفة.....**28-52**

المبحث الأول:الدلالة عند القدامى(العرب والغرب).....29-45

المبحث الثاني:مفهوم الوظيفة،اللسانيات الوظيفية.....46-49

المبحث الثالث:علاقة الدلالة بالوظيفة.....50-52

4:الفصل الثالث:علاقة السياق بالدرس التداولي وبالتأويل.....**53-74**

المبحث الأول:علاقة التداولية بالسياق.....54-60

المبحث الثاني:مفهوم التأويل.....60-62

المبحث الثالث:علاقة السياق بالتداولية وبالتأويل.....63-74

5:الفصل الرابع:أثر السياق في تحديد الدلالة الوظيفية "سورة مريم" أنموذجا..**76-124**

المبحث الأول:سياق السورة 76-78

المبحث الثاني: السياق ودلالة الصوت والحرف.....79-107

المبحث الثالث:السياق ودلالة الكلمة.....108-116

المبحث الرابع: أثر السياق في تحديد بعض الظواهر اللغوية

(المشترك اللفظي والترادف).....116-124

6:خاتمة.....**125-128**

7:ملخص.....**129-131**

8:قائمة المصادر والمراجع.....**132-141**

الفهرس.....**142-144**